

سلسلة التنشئة المسيحيّة

٩

ليملأ سلام المسيح قلوبكم

(كولوسي ٣/١٥)

زمن الدنح أو الغطاس

✤ ٢٠٠٧ ✤

بشاره الراعي

مطران جبيل

منشورات

جامعة سيدة اللويزة

NDU PRESS

ليملأ سلام المسيح قلوبكم

ليملأ سلام المسيح قلوبكم
في زمن الدِّنح أو الغطاس

تـألـيـــف المطران بشاره الرّاعي

منشـــورات جامعة سيِّدة اللويزة ©

ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل - لبنان

تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١

فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١

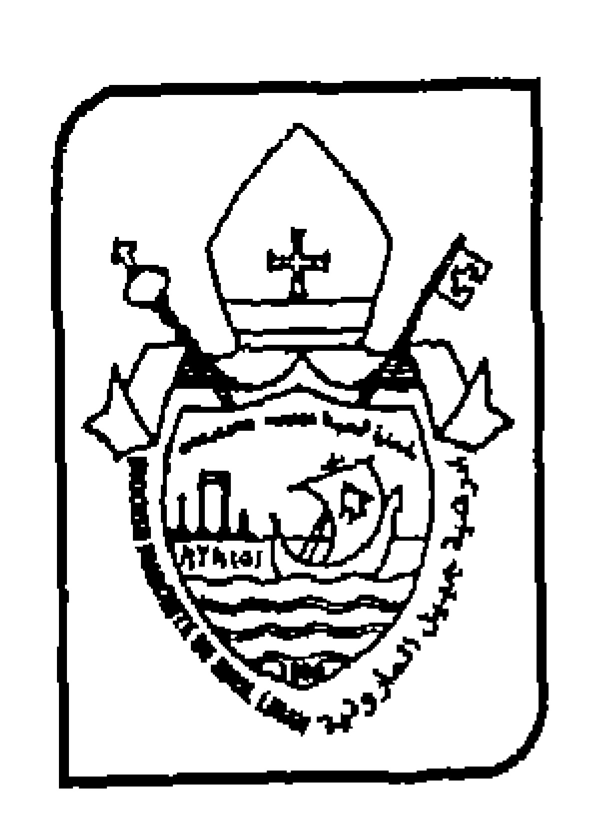
www.ndu.edu.lb

الطّبعة الأولى ٢٠٠٦

القـيـــاس ١٤,٥ × ٢١,٥ سم

تـنـفـيــذ مطابع معوشي وزكريّا

ISBN 9953-457-08-5



سلسلة التنشئة المسيّحيّة

٩

ليملأ سلام المسيح قلوبكم

(كولوسي ٣/١٥)

زمن الدنّح أو الغطاس

٢٠٠٧

بشاره الراعي

مطران جبيل

منشورات جامعة سيّدة اللويزة

NDU PRESS

المحتوى

تقديم

ليلة ميلاد الاله، إبن الله، إنساناً متّخذاً في التاريخ اسم يسوع المسيح، أنشد الملائكة "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام والرّجاء الصالح لبني البشر" (لو٢/١٤). فظهر مجد الله بشخص يسوع المسيح، على أن يظهر في كلّ إنسان حيّ مستنير بسرّ الكلمة المتجسّد. لكنّ هذا المجد وهذه الاستنارة لن يتمّا، ما لم "**يملأ سلام المسيح قلوب البشر**" (كولسي ٣/١٥). أمّا الرجاء فهو أنّ سلام المسيح سيملأ القلوب، وسيستعيد الانسان بهاء صورة الله فيه، فيسطع من خلاله مجد الله في العالم.

إنّ **العدد التاسع من سلسلة التنشئة المسيحيّة لزمن الدّنح أو الغطاس** يكشف سرّ المسيح وسرّ الانسان. ويعطي لمحة عن وجوه من البشر القدّيسين، الذين "ملأ سلام المسيح قلوبهم"، فكانوا فاعلي سلام على أرضنا، وتلألأ فيهم مجد الله. ويكرّس للخطّة الراعويّة النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: "**هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**"، من أجل تقبّل هذا النصّ، والعمل معاً على تطبيقه في حياة الأفراد والجماعات.

نأمل في أن تبلغ التنشئة المسيحيّة هدفَها الأخير، وهو "**أن يملأ سلام المسيح قلوب جميع الناس**".

† **بشاره الراعي**
مطران جبيل

الأحد ٣١ كانون الأوّل ٢٠٠٦

أحد وجود الربّ في الهيكل

العائلة مكان تجلّيات الله

من إنجيل القدّيس لوقا ٢/٤١-٥٢

كان أبوا يسوع يذهبان كلّ سنة في عيد الفصح، إلى أورشليم. ولمّا بلغ يسوع اثنتي عشرة سنة، صعدوا معاً كما هي العادة في العيد. وبعد أنقضاء أيّام العيد، عاد يوسف ومريم، وبقي الصبيّ يسوع في اورشليم، وهما لا يدريان. وإذ كانا يظنّان أنّه قي القافلة، سارا مسيرة يوم، ثمّ أخذا يفتّشان عنه بين الأقارب والمعارف. ولم يجداه، فعادا إلى أورشليم يفتّشان عنه. وبعد ثلاثة أيّام، وجداه في الهيكل جالساً بين العلماء، يسمعهم ويسألهم. وكان جميع الذين يسمعونه منذهلين بذكائه وأجوبته. ولمّا رآه أبواه بهتا، وقالت له أمّه: "يا بُنيّ، لماذا فعلت بنا هكذا؟ فها أنا وأبوك كنّا نطلبك متوجّعين!". فقال لهما: "لماذا تطلبانني؟ ألا تعلمان أنّه ينبغي أن أكون في ما هو لأبي؟". أمّا هُما فلم يفهما الكلام الذي كلّمهما به. ثُمّ نزل معهما، وعاد إلى الناصرة، وكان خاضعاً لهما. وكانت أمّه تحفظ كلّ هذه الأمور في قلبها. وكان يسوع ينمو في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس.

***

في حدث ضياع يسوع ووجوده في هيكل أورشليم وكلماته، وهو في الثانية عشرة من العمر، كان اعتلان لبنوّة يسوع الالهيّة، واستباق لسرّ الفصح، الآلام والموت والقيامة. وفي عودة يسوع مع والديه إلى الناصرة

ونهج حياته تنكشف قيمة الأسرة وقدسيّتها. يضفي هذا الحدث على بداية السنة الجديدة، التي يسبقها بيوم واحد، قيمة خاصّة، يبرزها موضوع نداء قداسة البابا لليوم العالميّ للسلام في أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧: "الشخص البشري: قلب السلام".

■ أوّلاً، مضمون الانجيل

١. الحدث وإيحاءاته

كانت الشريعة اليهوديّة تقضي بالصعود إلى أورشليم ثلاث مرّات في السنة للمشاركة في احتفالات الفصح والعنصرة والمَظالّ (خروج٢٣/١٤-١٧؛٣٤/١٨-٢٣) : **الفصح** او عيد الفطير يحتفل به في ١٤ نيسان؛ **والعنصرة** أو عيد الحصاد أو الأسابيع، بعد سبعة أسابيع أو خمسين يوماً من الفصح لختام الحصاد ولذكرى قبول شريعة الله في سيناء؛ **والمظالّ** أو عيد الأكواخ في ختام موسم القطاف في الخريف.

لكنّ الشريعة كانت تستثني من هذا الإلزام من ليسوا قادرين لأسباب قاهرة مثل طول المسافة والحالة الشخصيّة والعمر. **فلا يوسف** كان ملزماً بالذهاب إلى أورشليم بسبب المسافة بين الناصرة وأورشليم التي تستدعي ثلاثة أيّام سفر، فيما الشريعة تحدّد الالزام ضمن مسافة يوم واحد، أي ٣٠ كلم؛ **ولا مريم** لكونها امرأة؛ **ولا يسوع** لأنّه دون الثالثة عشرة من العمر الذي تحدّده الشريعة للالزام. ومع هذا كانت عائلة الناصرة "**تذهب إلى اورشليم كل سنة في عيد الفصح**"، **بداعي التقوى**، فالروح القدس "يهبّ حيث يشاء"، ولكنْ لا ضدّ الشريعة بل فوق الشريعة، **وبداعي تربية** يسوع على حفظ الشريعة بإشراكه في الحفلات الطقسيّة والموجبات الدينيّة، قبل بلوغ السنّ الملزمة.

تسبب ضياع **يسوع** بألم شديد لأبيه وأمه دام ثلاثة أيّام: "ها أنا وأبوك كنّا نبحث عنك بغمّ شديد". فتذكّرا نبوءة سمعان الشيخ لمريم عندما قدّما الطفل للربّ في هيكل أورشليم في اليوم الأربعين لمولده: "أما أنتِ، فيجوز قلبكِ رمح" (لو٢/٣٥). هذه مرحلة أخرى من مراحل **المشاركة في آلام الفداء**، بعد حالة الفقر والحرمان في الميلاد، والهرب إلى مصر ليلاً وخوف ومشقّات وهواجس، ثمّ العودة إلى البيت المهجور في الناصرة (متّى٢/١٤-٢٣). لقد أدخلهما يسوع في تصميم الآب الخلاصيّ: "اما تعلمان أنّه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي".

لمّا وجداه في الهيكل بين العلماء يسمعهم ويسألهم **اندهشا كما اندهش** جميع الذين كانوا يسمعونه. كان علماء الشريعة يعرضون الكتب المقدّسة على الشعب، رجالاً ونساءً وأولاداً، أيّام السبت والأعياد الكبرى، معتمدين أسلوب **السؤال والجواب**. فكان الانذهال من حكمة الفتى يسوع: **فهو حكمة الآب المتجسّدة**، وكأنّه بدأ نشاطه المسيحانيّ بكلّ نجاح. فستقول عنه يوماً الشرطة التي كُلّفت القبض عليه وأحجمت: "لم يتكلّم قط إنسان، كما يتكلّم هذا الرجل" (يو٧/٤٦).

الهيكل حيث وجداه هو المكان الذي تحفظ فيه الحكمة. فتمّت فيه كلمة يشوع بن سيراخ، قالها قبل ٢٠٠ سنة من ميلاده: "أنا الحكمة من فم العليّ خرجت، قبل الدهور ومنذ البدء خلقني وإلى الدهور لا أزول. في هيكل قدسه أمامه خدمت. فتأصّلت في شعب مجيد. كالأرز في لبنان ارتفعت، وكالسرو في جبال حرمون وكغراس الورد في أريحا" (ابن سيراخ ٢٤/٣ و٩-١٤). في بيت الله، الكنيسة، نصغي إلى الحكمة الالهيّة، إذ يقول القارىء في الطقس البيزنطيّ: "الحكمة فلننتصب ونصغ". وعند دخول بيت الله والاستعداد للاصغاء يقول الكاهن في الطقس المارونيّ: "دخلت بيتك يا

الله، وفي هيكلك سجدت". لفظة هيكل، في السريانيّة - الآرامية "**بيما**"، تعني المكان الذي تعلن منه كلمات الحكمة الالهيّة، القراءات والكرازة. والسجود يعني **الاصغاء بالروح والحق**" (يو ٤/٢٣)، فيقف الشعب وتضاء شمعتان؛ ويعني انحناء الجسد أمام الربّ، وخضوع العقل للحقيقة الموحاة، واعتراف اللسان، والتزام الارادة، وتعظيم القلب لعجائب الله، والاشادة بحبّه: "كونوا في السكوت لأنّ الانجيل المقدّس يتلى الآن عليكم، فاسمعوا ومجّدوا واشكروا كلمة الله الحيّ". لكنّ الهيكل الحجريّ المخصّص للّه رمز لجسد المسيح: "أهدموا هذا الهيكل وأنا أرفعه في ثلاثة أيّام" (يو٢/١٩)، ولهيكل الله الذي حجارته الحيّة هم المؤمنون: "**أنتم هيكل الله** لأن روح الله ساكن فيكم" (١ كور ٣/١٦).

إنّ جواب يسوع: "أما تعلمان أنّه ينبغي عليّ أن أكون في بيت أبي"؟ يشكّل ظهوراً إلهياً، إذ يعلن الصبيّ يسوع وعيه الشخصيّ "إنّه ابن الله" ويعترف بلسانه ما سبق واعلنه الملاك لمريم (لو ١/٣٢). فحدّد الفرق بين أبيه بالطبيعة الالهيّة الذي هو الله ويدعوه "**أبي**"، وأبيه بالشريعة الذي هو يوسف وتقول عنه مريم "**أبوك**". وفي جوابه أعلن وعيه لرسالته الالهيّة، وكشف القيمة الأوّليّة لطاعته للآب الذي هو فوق كلّ سلطة بشريّة أخرى، وأكّد أنّ إرادة الله تفوق كلّ روابط الدم: "من يعمل بمشيئة الله هو أخي وأختي وأمّي" (مر ٤/٣٥). سيقول جبران خليل جبران: "أولادكم أبناء الحياة". هذا يعني، في ضوء جواب يسوع، أنّ لكلّ ولد دوراً في تصميم الآب الازليّ، سيّد الحياة والتاريخ، وأنّ الحياة العامّة تفصل الأولاد عن وصاية والديهم عند بلوغهم الثامنة عشرة من العمر. وهكذا يصبحون في "بيت الآب" لا في بيت والديهم، في عالم الله الفسيح لا في حدود النسب والأسرة الصغيرة. **إنّه العبور** من الخاصّ إلى العامّ، ثمّ من البيت الأرضيّ

إلى بيت الآب في السماء، **وهو العبور الاخير**: "إن كان بيتنا الجسديّ الذي في الأرض ينحلّ، فإنّ لنا بنياناً من الله، بيتاً لن تصنعه الأيدي، أبدياً في السماء" (٢ كور ٥/١). ألمهمّ أنْ نحسن العبور في هذه الدنيا وفي الآخرة. **وحده يسوع المسيح هو طريق العبور.**

أمّا "**القيمة النبويّة**" للحدث ولكلمات يسوع والايحاءات، فلم يفهمها يوسف ومريم، لكنّهما قبلاها بايمان ليتعمّقا فيها، وسيكتشفانها شيئاً فشيئاً مع الزمن: "كانت أمه تحفظ كلّ هذه الكلمات في قلبها". إنّ أحداث الحياة أسرار ينبغي أن نقبلها ونقرأها في ضوء الانجيل.

٢. استباق الفصح

كان الحدث والكلمات صورة للفصح الأخير، وهو "عبور يسوع من هذا العالم إلى الآب" (يو ١٣/١) بآلامه وموته والقيامة، بعد العبور الأوّل من الآب إلى العالم بتجسّده: "والكلمة صار بشراً وحلّ بيننا، فرأينا مجده، المجد الذي له من الآب، كابن وحيد مملوء نعمة وحقّاً (يو ١/١٤). كلّ عناصر الحدث تدلّ إلى فصح المسيح وتستبقه.

أورشليم هي مكان آلام المسيح وموته وقيامته. **الهيكل** هو مكان الاحتفال بالفصح، الذي ينتهي دوره مع قيام هيكل جسد المسيح السرّيّ الذي هو الكنيسة، ومكان الاصغاء والعبور. **زمن التواجد في الهيكل** كان في عيد الفصح اليهوديّ. **ثلاثة أيّام من الضياع** رمز لثلاثة أيّام يسوع في حالة الموت. **البحث عنه بغمّ شديد** هو أوّل "سيف" جاز في نفس مريم ويوسف، وجعلهما شريكين في آلام الفداء لخلاص البشر، وسيبلغ ذروته في مريم على أقدام الصليب. **أولى كلمات يسوع** "ينبغي أن أكون في بيت أبي" (لو ٢/٤٩) تستبق **آخر كلماته** على الصليب: يا أبتِ بين يديك أستودع

روحي" (لو ٢٣/٤٦). وهي تعلن عودته ومكوثه الدائم في "بيت الآب". **عدم فهم يوسف ومريم** لجواب يسوع اختبار للايمان المتألّم في مسيرة رسالة المشاركة في الفداء، التي بدأت مع فقر بيت لحم واضطهاد هيرودوس الوحشي، وأنضجت إيمانهما وحبّهما. حفظ **الكلمات في قلب مريم** هو رمز لحبّة الحنطة التي تموت في الأرض لتعطي ثمراً كثيرا" (يو ١٢/٢٤)، هذا الحفظ جعل مريم ترتقي أكثر في فهم تصميم الله الخلاصيّ الفائق الطبيعة.

لكنّ يسوع عاد فوراً معهما من "بيت أبيه" في هيكل أورشليم إلى بيت أبيه في النّاصرة. وهذا دليل على القيمة النبويّة للحدث ولكلماته. فبعد الفسحة الزمنيّة لفهمها وللنضوج في مسيرة الايمان والمشاركة في رسالة الفداء، عاد يسوع إلى حياته الخفيّة، "خاضعاً لهما" بانتظار بدء رسالته العلنية.

في كلّ هذا اعتلان **لسرّ التقوى العظيم**، سرّ المسيح، الذي تجلّى بالجسد، وتبرّر بالروح، وأعلن عنه على أنّه حامل الخلاص، وآمن به العالم أنّه مرسل من الآب، الذي أصعده إلى السماء (١ تيم ٣/١٦). **إنّه سرّ التجسد والفداء** وفصح المسيح التامّ الذي يحرّرنا من الخطيئة، وينتصر على "سرّ الاثـم"، ليـبعث فـي نفوسنا حركة توبة وارتداد، ويفتديها ويقودها إلى المصالحة. "سرّ التقوى" هذا يعني السلوك المسيحيّ القائم على التقوى والمحبّة (أنظر الارشاد الرسوليّ للبابا يوحنا بولس: في المصالحة والتوبة، ١٩-٢١).

٣. الأسرة منبت السلام

في عائلة الناصرة، وعلى مدى ثلاثين سنة، كان يسوع "ينمو في القامة والحكمة والنعمة أمام الله والناس" (لو ٢/٥٢). ينمو في بشريّته خاضعاً لأبيه

وأمّه، محاطاً بعاطفتهما وحبّهما الشديدين وقدوة حياتهما في العمل والصلاة والتأمّل في أسرار الله الخفيّة. كان **ينمو بالقامة** يوماً بعد يوم من تعب يوسف ومريم ومن عمله اليوميّ في النجارة، **وبالحكمة** باكتساب المعرفة والخبرة والفضائل الانسانيّة والاجتماعيّة من خلال التربية الوالديّة، **وبالنعمة الالهيّة** بامتلائه من الروح القدس من خلال الصلاة والتزامه الفرائض الدينيّة في كلّ يوم سبت.

في هذا دليل قاطع أنّ الانسان لا يستطيع أن ينمو بكلّيته، في الجسد والنفس والأفكار والأفعال من دون العيش في هذه المدرسة الطبيعيّة الأولى و"الكنيسة المنزلية" التي هي العائلة. أمّا المدرسة والرعيّة والمجتمع فكلّها تأتي في المرتبة الثانية، وفقاً لمبدأ الاستنابة، بحيث تسقي ما تكون الأسرة قد غرست، وتعتني به. في العائلة تتهيّأ دعوة الحياة وتنكشف مشاريع الله، تحت سهر الأب ونظر الأمّ، وعناية الاثنين، وخضوع الولد لهما.

تنبع **ثقافة السلام** من العائلة حيث يلقى الشخص البشريّ احترام كرامته التي طبعها الله فيه، عندما خلقه على صورته ومثاله (تك ١/٢٦-٢٧). تحتفل الكنيسة في اليوم الأوّل من كانون الثاني ٢٠٠٧ باليوم العالميّ الستين للسلام. وقد وجّه قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في المناسبة نداء بعنوان: "**الشخص البشري: قلب السلام**". وأكّد أنّ كلّ تعدٍّ على الشخص البشريّ تهديد للسلام، وأنّ كلّ تهديد للسلام تهديد لحقيقة الشخص والله. إنّ احترام كرامة الشخص البشريّ شرط أساسيّ للسلام في العائلة البشريّة".

ويشير قداسته إلى ثلاثة تتهدّد العائلة اليوم: **إيديولوجيات التعصّب** الماديّ والدينيّ التي تفرض مفاهيم مقيتة عن الانسان والله والواقع

الاجتماعيّ؛ **والعلم والتكنولوجيا**، وبخاصّة ما يتعلّق بطبّ الحياة، اللذين يُستخدمان لغاية أنانيّة في الترقّي وهناء العيش، بدلاً من خدمة خير البشريّة العامّ؛ **ونشر أنماط حياة** غير مرتّبة ومضادّة للكرامة البشريّة التي تضعف القلوب والأرواح حتى إطفاء التوق إلى تعايش منظّم وسلميّ.

كلّ هذه تشكّل تهديداً للبشريّة؛ ذلك أنّ السلام يكون في خطر عندما تفقد الكرامة البشريّة احترامها، وعندما لا يبحث المجتمع عن الخير العامّ. فلا بدّ للكنيسة من أن تعلن إنجيل الحياة الذي يؤكّد محوريّة الإنسان في الكون ومحوريّة محبة الله للبشريّة، وأن تعمل على تعزيز أنسنة شاملة ومتضامنة تسعى إلى إنماء كلّ إنسان وكل الناس (البابا بولس السادس: ترقي الشعوب).

نقرأ في مستهلّ الرسالة العامّة "**السلام على الارض**" للبابا الطوباويّ يوحنّا الثالث والعشرين أنّ "الانسان الشخص هو في أساس النظام الإلهيّ للسلام" (فقرة ١). تضعه كرامته في موقع متفوّق على الاشياء والمؤسّسات وفي علاقة مساواة جوهريّة مع الأشخاص الآخرين، أيّاً كان عرقه أو جنسه أو لغته أو دينه أو أصله القوميّ والاجتماعيّ. هذه الكرامة الشخصيّة الكيانيّة هي منبع الحقوق الانسانيّة، ما يجعل الانسان الشخص صاحب حقوق وحامل حقوق، يتعيّن على الآخرين إقرارها ورعايتها.

كلّ انتهاك لكرامة الشخص البشريّ في كيانه وحقوقه تهدّد السلام وسط العائلة البشريّة. وكلّ تعزيز لكرامة الشخص البشريّ تعزيز لثقافة السلام.

■ ثانياً، وجه قدّيس عزّز كرامة الشخص وخير العائلة

القدّيس Maximilien Kolbe راهب فرنسيسكانيّ بولونيّ، قدّم نفسه فدية عن زوج وربّ عائلة هو فرنسوا Gajowniczek، في ٣١ تمّوز ١٩٤١،

في سجن Auschwitz في بولونيا. فرنسوا هذا كان بين المئتي ألف شخص الذين شاركوا في احتفال تقديس الأب Maximilien في ١٠ تشرين الأوّل ١٩٨٢.

أوقف الأب كولب بتاريخ ١٧ شباط ١٩٤١ في غرفة ديره على يد أربعة عسكريين من النازيين Gestapo، ورُمي في سجن Pawiak، في وارسو، مع اربعة كهنة فرنسيسكان من الدير نفسه، دير Nie pokanov. وبعد تعذيبه، نقل إلى معسكر (Auschwitz) في تمّوز ١٩٤١ بتهمة أنّ الدير استقبل ألفي يهوديّ ولاجئين آخرين هربوا من وجه النازيين، وكان الأب كولب يعتني بهم.

كان بعمر ٤٧ سنة، حاملاً شهادة دكتورا في الفلسفة، مؤسّس رسالة الحبل بلا دنس في بولونيا، وهي جماعة صلاة وعمل نشر، وله محطّة إذاعيّة. في السجن الذي كان يضمّ ٦٠٠ سجين في القسم ١٤، حيث وَجد، خلعت عنه وعنهم الكرامة الشخصية ليصبحوا أعداداً، فكان يحمل الرقم ١٦٦٧٠. على باب السجن كانت الكتابة: "**العمل يحرّر**". إنّه عمل الاشغال الشاقّة. وكان عمله أن يحمّل ويفرّغ الشاحنات بجثث القتلى، إلى فرن الحريق، ومنه. لكنّ رسالته كانت الصلاة الدائمة وتشجيع الأسرى وتثبيتهم في الرجاء بأنّ الله يسهر عليهم في سجن العذاب.

في ٣١ تمّوز ١٩٤١ ضاع أحد المساجين، فحكم على عشرة بالموت جوعاً وعطشاً، كان بينهم فرنسوا Gajowniczek. وإذ كان يبكي مفكّراً بزوجته وأولاده الذين سيتركهم يتامى، تقدّم مكسيميليان كولب وأدّى التحيّة للضابط، فقال له هذا الأخير بنبرة: "ماذا يريد هذا الخنزير البولونيّ؟" فأجاب: أنا كاهن كاثوليكيّ بولونيّ، أريد أن أحلّ محلّ هذا الرجل الذي له

زوجة وأولاد". وبعد صمت وجيز قال الضابط للرجل: "اخرج". وأخذ الأب كولب محلّه. نقل العشرة إلى القسم ١١ المخصّص للتحقيقات والقتل. فأُدخل العشرة عراة إلى غرفة مساحتها ٩ أمتار، فيها دلو صحيّ فقط. وعندما أغلق الحارس الباب عليهم قال لهم: "ستيبسون هنا كالزهر".

في هذه الغرفة كان الأب كولب يشجّعهم ويرتّل، وهم يردّدون معه بقوّة اليأس. بعد ١٤ يوماً لم يبق سوى أربعة أحياء يصارعون الجوع والعطش ومن بينهم الأب كولب، فأنهوا بإبرة سامّة في ١٤ آب ١٩٤١ ليلة عيد انتقال السيّدة العذراء إلى السماء. يقول الأب Szweda: "عندما فتحت باب الغرفة وجدت الأب مكسيمليان، كأنّه حيّ، وجهه مشعّ وعيناه مفتوحتان ومصوّبتان إلى نقطة معيّنة، وكأنّه في حالة انخطاف. إنّه مشهد لن أنساه أبداً". طوّبه البابا بولس السادس **معترفاً** في ١٧ تشرين الأوّل ١٩٧١، وأعلن قداسته **شهيداً** البابا يوحنّا بولس الثاني في ١٠ تشرين الأوّل ١٩٨٢.

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

لا بدّ من التذكير أنّ الخطّة الراعويّة موجّهة، فضلاً عن الأفراد إلى الجماعة الرّعائيّة وإلى المجالس واللّجان في الرّعايا، وإلى العائلة والجماعة الديريّة، إلى الاخويّات والمنظّمات الرسوليّة، إلى النوادي وسائر الجماعات على أنواعها. هذه تجتمع لتفكّر سويّة، ولتتّخذ مبادرات عمليّة تطبيقيّة.

تتمحور الخطّة الراعويّة طوال زمن الغطاس والتذكارات حول النّص الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: "**هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**".

١. يُبرز هذا النصّ العناصر التي تكوّن **هويّة الكنيسة المارونيّة**، والتي في

ضوئها تنجلي دعوتها وتتجدّد رسالتها. هذه العناصر تؤلّف مجتمعة **التراث الحيّ** الذي يعطي الكنيسة المارونيّة **خصوصيّتها**، ضمن الكنيسة الجامعة، في عيش سرّ الخلاص بيسوع المسيح والشهادة له في النطاق الانطاكيّ وبلدان الانتشار. **الغاية الأولى** من إبراز الهويّة هي الأمانة لسرّ الخلاص هذا الذي منه تنطلق وعليه تُبنى هويّتنا المسيحيّة؛ **والغاية الثّانية** إعادة نظر شاملة في شؤون كنيستنا من أجل تجديدها وانطلاقتها المستقبلية (فقرة١)؛ **والغاية الثالثة** تنشئة الموارنة المنتشرين في بلدان العالم على هويّتهم وصون وحدتهم وحفظهم من الذوبان والتشتّت، وتأوين عناصر هويّتهم لتتلاءم مع ثقافات الشعوب التي ينتمون إليها (فقرة ٤).

٢. **الكنيسة البطريركية المارونيّة** هي قبل كلّ شيء **تحقيق لسرّ الكنيسة** الواحدة، الجامعة، المقدّسة، الرسوليّة، حيثما ينوجد أبناؤها وبناتها، من أجل الشهادة على إيمانهم الرسولي وقيمهم الإنجيليّة. وبالتّالي هي عمل الله الآب الخلاصيّ بواسطة ابنه يسوع المسيح وبفعل روحه القدّوس، وليست وليدة اعتبارات ثقافيّة أو قوميّة أو سياسيّة بحتة (فقرة ٢).

٣. إنّ عناصر هويّة الكنيسة المارونيّة **مشتركة في جوهرها بين الكنائس الأنطاكيّة السريانيّة**، ولو أخذت من الزمن طابعاً مارونيّاً. ولهذا كنيستنا **ملتزمة في الحركة المسكونيّة** من أجل الشركة التّامة بين الكنائس في الحقيقة والمحبّة (أفسس ٤/١٥)، وفي سبيل تعزيز الحضور الشاهد معاً في هذا الشرق وفي العالم، أمانة "لدعوة المعلّم الالهيّ" (فقرة ٣).

٤. العنصر الأوّل من هويتنا المارونيّة هو **اسم موارنة**. إنّه مأخوذ من **اسم القديس مارون** المتوفّى حوالى سنة ٤١٠، شفيع كنيستنا الذي ابتكر طريقة نسكيّة فريدة من نوعها لعيش إيمانه بالمسيح وقيم الإنجيل، على جبل قورش، في المنطقة الجغرافيّة من الامبراطوريّة الرومانيّة المسمّاة

سورية الأولى. يرجّح من علم الآثار أنّ مارون تنسّك في قلعة كالوتا في جبل سمعان، على مسافة ٣٠ كلم من مدينة حلب، وأنّ جثمانه وضع في مدينة براد القريبة من قلعة كالوتا. أمّا طريقته النسكيّة فقوامها العيش في العراء. نجد سيرة حياته في كتاب تيودوريطس أسقف قورش آنذاك بعنوان: "تاريخ أصفياء الله". واسم موارنة يرجع ايضاً إلى **الدير الذي بُني على اسم مارون**، بُعيد مجمع خلقيدونيا (٤٥١) في منطقة أفاميا الكائنة في سورية الثانية. يُعتبر دير مار مارون بحقّ **مهد الكنيسة المارونيّة** الذي في كنفه وحوله نشأت بطريركيّة مستقلّة بين نهايات القرن السابع والنصف الأوّل من القرن الثّامن (فقرة ٦).

***

صلاة

أيّها الله الآب، نشكرك على عائلة الناصرة المقدّسة، عائلة يوسف ومريم ويسوع، وقد أردت أن تكون عائلاتنا على مثالها. نشكرك على العائلة التي أعطيتناها، لكي نقبل منك فيها الحبّ كلّ يوم: به ننمو ونتعاون ونتصالح، وبه نشهد لحبّك الذي خلقت به كلّ حياة وتعتني بكلّ إنسان.

نشكرك أيضاً على جماعتنا المسيحية، في الرعيّة وفي الأبرشيّة، وعلى أنّك تجعل علامات محبّة يسوع حاضرة في الكلمة والأفخارستيّا والمحبة الأخويّة. إجعل عائلاتنا شبيهة بالكنيسة أكثر فأكثر: في إيمانها بك، وفي قبول كلمة يسوع كما قبلتها مريم، وفي الطاعة لالهاماتك في حياة كلّ يوم مثل يوسف. لك المجد، أيّها الاب، مع ابنك الوحيد وروحك القدّوس إلى الابد، آمين (من كتاب الكردينال كارلو- ماريا مارتيني: عند الفجر بحث عنك).

الأحد الأوّل بعد الدّنح وعيد الغطاس

ظهور الله بالمسيح والشهادة له

من إنجيل القدّيس يوحنّا ١/٢٩-٣٤.

في الغد (بعد شهادة المعمدان) رأى يوحنّا يسوع مقبلاً إليه، فقال: "ها هو حملُ الله الذي يرفع خطيئة العالم. هذا هو الذي قُلتُ فيه: يأتي ورائي رجلٌ قد صار قُدّامي، لأنّه كان قبلي. وأنا ما كنتُ أعرفه، لكنّي جئت أعمّد بالماء لكي يظهر هو لاسرائيل". وشهد يوحنّا قائلاً: "رأيت الرّوح نازلاً كحمامة من السّماء، ثمّ استقرّ عليه. وأنا ما كنت أعرفه، لكنّ الذي أرسلني أعمّدُ بالماء هو قال لي: من ترى الرّوح ينزل ويستقرّ عليه، هو الذي يُعمد بالرّوح القدس. وأنا رأيت وشهدت أنّ هذا هو ابن الله".

***

هذه الشهادة التي أعطاها يوحنّا عن يسوع أتت غداة اعتماده في نهر الأردن، كما يرويها القدّيس لوقا في إنجيله الذي نقرأه في عيد الغطاس (لو ٣/١٥-٢٢). يقول لوقا الانجيليّ: "لمّا اعتمد الشعب كلّه، اعتمد يسوع ايضاً. وفيما كان يصلّي، انفتحت السماء ونزل عليه الرّوح القدس في صورة جسديّة بشكل حمامة، وجاء صوت من السماء يقول: أنت هو ابني الحبيب، بك رضيت" (لو ١/٣٤).

من هذين النصّين نستمدّ العنوان: **ظهور الله بالمسيح والشهادة له.**

■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

١. ظهور الله بالمسيح

الله غير المنظور ظهر للبشر في تجسّد ابن الله، الكلمة **الالهيّ**، بالميلاد، الذي أخذ اسماً هو يسوع المسيح، أي ابن الله الذي كرّسه الاب بمسحة الروح القدس في بشريّته وأرسله إلى العالم (**المسيح**)، لكي يخلّصه من خطاياه (**يسوع**). ويوم تقدّم يسوع ليقبل معموديّة يوحنّا، وهو في الثّلاثين من العمر، ظهر للمجتمع ببنوّته لله وبرسالة الفداء، على ما شهد يوحنّا: إنّه ابن الله وحمل الله الذي يحمل خطيئة العالم. وظهر أيضاً الله الثالوث: **الآب** بالصوت، **والابن** بشخص يسوع، **والروح القدس** بشكل حمامة. هذا الظهور يسمى باللّفظة السريانيّة "**الدّنح**"، من فعل "دناح" (دِنحو)، توازيها اللّفظة اليونانيّة "**ثيوفانيا**"، ظهور الله، واللّفظة اللاتينيّة "**أبيفانية**". "**الدّنح**" مرتبط بظهور ابن الله يوم ميلاده متجسّداً، وبظهور الثّالوث الالهيّ يوم معموديّة يسوع المعروفة بعيد **الغطاس**. هذه اللفظة عربيّة، وتعني النزول في الماء للاعتماد.

بسبب هذا التمازج بين الظهور والاعتماد، الدّنح والغطاس، كانت الكنيسة الجامعة، حتى منتصف القرن الرابع، تعيّد في الشرق والغرب عيد الميلاد في ٦ كانون الثاني. أمّا اليوم فتحتفظ به كنيستا الأرمن الأرثوذكس والأقباط الأرثوذكس. وبعد منتصف القرن الرابع، فصلت الكنيسة العيدين، فأصبح عيد الميلاد في ٢٥ كانون الأوّل، استبدالاً لعيد الإله الوثنيّ "الشمس"، لأنّ يسوع هو الشمس الجديدة للعالم، وأصبح عيد الغطاس في ٦ كانون الثاني.

ففي العهد القديم، ظهر الله من خلال علامات خارجيّة، وظهورات ملموسة، وأحداث كونيّة: "**العلّيقة المتّقدة**" التي ترمز إلى قداسة الله المطلقة وقد رآها موسى (خروج ٣/١-١٢)؛ "**العمود من غمام** في النهار **ومن نار** في الليل" الذي يسير أمام الشعب نهاراً وليلاً عند خروجهم من أرض مصر (خروج ٣/٢١-٢٢)، وهو يرمز إلى الله الحاضر بنوره؛ الرّعود والبرق والغمام الكثيف على الجبل **وصوت برق** شديد جداً" التي حدثت عندما أبرم الربّ عهده مع الشعب القديم في سيناء مظهراً مجده وقدرته (خروج ١٩/١٦-١٩).

أمّا في العهد الجديد، فكان ظهور الله بالجسد البشريّ في الميلاد، عندما "صار كلمة الله بشراً وسكن بيننا، ورأينا مجده الذي له من الآب، كابن وحيد ملؤه النعمة والحق" (يو ١/١٤). رآه الرّعاة والمجوس فآمنوا. ثمّ ظهر يوم اعتماده على يد يوحنّا فادياً للبشر، متضامناً مع الخطأة في توبتهم، لا في خطيئتهم. وظهر ثالوثاً قدّوساً بمناسبة معموديّة يسوع. وظهر السيّد المسيح إلهاً وإنساناً في التجلّي على جبل طابور أمام ثلاثة من تلاميذه (متّى ١٧/١-٨)، وقد بان وجهه كالشمس وثيابه بيضاء كالنّور، مشاركاً كليّاً في مجد أبيه الإلهيّ (٢ بطرس ١/١٦-١٨). ويظهر حاضراً بجوهره في الأفخارستيّا، حيث يحوّل الخبز إلى جسده والخمر إلى دمه. وانطلاقاً من هذا الحضور الدائم في القربان، يظهر **حاضراً** أيضاً في **الكنيسة**، كما يعلّم آباء المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، "وبنوع خاصّ في **الأفعال الليتورجيّة**؛ وحاضراً في **ذبيحة القداس**، سواء بشخص الكاهن ام تحت اشكال الخبز والخمر؛ وحاضراً بنعمته وقدرته في **الاسرار**، فهو الذي يجريها بشخص الكاهن؛ وحاضراً **في كلامه** لأنّه هو الذي يتكلّم عندما نقرأ الكتب المقدّسة **في الكنيسة**؛ وحاضراً في الكنيسة عندما تصلّي وتسّبح:

"حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، أكون هناك بينهم" (متّى ١٨ / ٢٠) (دستور في الليتورجيّا المقدّسة، ٧).

٢. العادات المسيحيّة في عيد الغطاس

عبّر المسيحيّون عن عقيدة ظهور الربّ في الغطاس **بتقاليد وعادات شعبيّة وكنسيّة مختلفة.**

شعبيّاً، عبّروا عن قيمة العيد، بإقبال ربّات البيوت على إعداد أطعمة وحلويات خاصّة به مثل الزّلابية والعوّام والمعكرون، ويسمّونها "بركة العيد". وعبّروا عن حضور الربّ معهم في هذا العيد بالسهر حتّى منتصف اللّيل، وإضاءة القناديل والأنوار وفتح الأبواب مشرّعة للدّلالة أنّ المسيح الربّ سيمّر في منتصف اللّيل على المنازل، ويقول: "دائم دائم"، ويلقي البركة؛ وعند منتصف الليّل كانت العائلة تركع وتصلّي وتنشد أنشودة روحيّة لتنال بركة المسيح لدى مروره، ومن هنا الاحتفال بالقدّاس في منتصف الليل أو ليلة العيد. وكانوا يعتقدون أن الاشجار تركع للمسيح عند مروره ما عدا شجرة التوت المتكبرة، لذلك كانوا يأخذون من جذوعها شظايا لمواقدهم في تلك الليلة عقاباً لها على كبريائها. وفي ليلة الغطاس تطوف ربّة البيت على ما عندها من مؤن وتحركها بيدها وتقول: "دائم دائم"، اعتقاداً منها أنّ البركة تحلّ فيها فتزداد. وكان الله يستجيب لهذا الدعاء والاعتقاد مفيضاً النعم والبركات.

كنسيّاً، كان الكهنة في القديم يحتفلون بالقدّاس صباح العيد على عين القرية ليتبارك ماؤها ويُطرد روح الشرّ منها، كما تباركت مياه الأردن بنزول الربّ يسوع إليها. وكان الناس يأخذون من هذا الماء إلى بيوتهم، يستحمّون به فيبعد عنهم الأضرار، ويسقون مرضاهم منه لينالوا به الشفاء، والحبالى

لتسهيل الولادة، ويرشّون منه لطرد الحشرات وإبطال أذاها. ولمّا بطلت العادة نشأت عادة حمل الماء في قوارير إلى الكنيسة لمباركته في القدّاس، وجرت عادة زيارة الكهنة للمنازل ورشها بالماء المبارك. ثمّ كان الماء المبارك بشكل دائم في جرن صغير على مدخل الكنيسة للتبريك.

وكنسياً أيضاً يؤثّر المؤمنون تقديم أطفال لقبول سرّ العماد، في عيد الغطاس، تبرّكاً بتذكار معموديّة الربّ يسوع، ويضربون المثل: "يلّي ما عنده معمود يعمّد لو في الغطاس عود". ومن هنا العادة أنّهم عندما يحملون قارورة ماء إلى الكنيسة، يضعون فيها عوداً أخضر من زهرة أو غصن شجرة، يصلّي عليها الكاهن وتحفظ في المنزل للتبريك بها عند الحاجة.

٣. الشهادة ليسوع المسيح

كانت ليسوع شهادة الآب والروح القدس يوم اعتماده، كما رأينا، وكان "ظهور" سرّه وسرّ الله الواحد والثّالوث. وكان في إنجيل عيد الغطاس شهادة ليوحنّا المعمدان الذي كان الشعب يسأله هل هو المسيح أي الملك القوي والسياسيّ المنتظر، فشهد يوحنّا أنّ يسوع هو أقوى منه، وسيعمّد لا بالماء، كعلامة خارجيّة للتوبة، بل بالروح القدس والنار (لو ٣/١٥-١٦)، مشيراً بذلك إلى حلول الروح القدس بألسنة من نار يوم العنصرة. إنّ المسيح يعمّد الكنيسة وكلّ مؤمن بواسطة ماء المعموديّة، والروح القدس "يمسح" المعمّد، ويختمه بختم لا يُمحى (٢ كور ١/٢١-٢٢) ويجعل منه هيكلاً روحيّاً، إذ يملأه من حضور الله ويجعله متّحداً بيسوع. عن كل معمّد يردّد الآب من السماء: "أنت ابني الحبيب، عنك رضيت"، فيصبح ابناً للّه بالابن الوحيد، ويستطيع أن يتبنّى قول يسوع: "روح الربّ عليّ: مسحني وأرسلني..." (لو ٤/١٨).

المعموديّة عطيّة مجانيّة من الله للإنسان، يقدّم له فيها البنوّة الإلهيّة بالمسيح، الإبن الوحيد الأزليّ وفادي الإنسان: "لسنا نحن أحببنا الله بل هو الذي أحبّنا وأرسل ابنه كفّارة عن خطايانا" (يو ٤/١٠). ولهذا السبب درجت الكنيسة على تعميد الاطفال، على إيمانها وإيمان أهلهم. كذلك هي معموديّة البالغين مجّانيّة ولا تنسّينا أنّ "الله أحيانا هو، لا بأعمال برّ عملناها، بل بمراحمه، بعماد الولادة الثّانية وتجديد الروح القدس الذي أفاضه علينا غزيراً بيسوع المسيح مخلّصنا، لنتبرر بنعمته، ونصير وارثين، بواسطة رجاء الحياة الأبديّة" (تيطس ٣/٥-٧).

ويشهد يوحنّا المعمدان أنّ عهداً جديداً يبدأ مع يسوع. إنّه نقطة الفصل، فهو مخلّص وديّان. يعتمد يوحنّا صورة البيدر (لو ٣/١٧) التي اعتمدها الأنبياء: إرميا عن أورشليم التي رفضت الربّ وارتدّت إلى الوراء: "فمددت يدي عليك واتلفتك، فقد مللت العفو عنك، وذرّيتكم بالمذراة عند أبواب الأرض" (إرميا ١٥/٦-٧). وأشعيا عن الذين نبذوا شريعة الله: "كما يلتهم لهيب النار القشّ، هكذا يفنون" (أش ٥/٢٤)، وغيرها. وهذا ما تنبّأ عنه سمعان الشيخ، قائلاً لمريم: "ها إنّه جعل لسقوط كثير من الناس وقيام كثير منهم، وآية معرّضة للرفض" (لو ٢/٣٤).

وشهد يوحنا أنّ يسوع هو "حمل الله الذي يحمل خطيئة العالم" (يو ١/٢٩) أي إنّه فادي الإنسان. هذه إشارة إلى موت يسوع التكفيريّ، على صورة **حمل الفصح** (خروج ١٢/١-١٤؛٢١-٢٨) التي يعود إليها يوحنّا الإنجيلي عند موت يسوع على الصليب: "لن يكسر له عظم" (يو ١٩/٣٦)؛ وبولس الرّسول يقول: "إنّ فصحنا هو المسيح الذي ذُبح لأجلنا" (١ كور ٥/٧)، وسيراه يوحنّا في رؤياه: "مستحقّ هو الحمل الذبيح أن يأخذ

على عاتقه خطايا الناس فيكفّر عنها، والذي مع أنّه بريء يقرّب نفسه تقدمة حمل ليزيلها" (اشعيا ٥٣).

■ ثانياً، معموديّة ملوك وشعوب

معموديّة المسيح بالماء والروح هي باب الخلاص، انفتح أمام أفراد وشعوب، نذكر اليوم **معموديّة أمير كييف - Kiev فلاديمير ومعموديّة روسيا سنة ٩٨٨**.

كانت روسيا وثنيّة. والأمير فلاديمير كذلك، فاعتمد هو والشعب على يد اليونانيّين، بعد أن أرسل بعثة من عشرة حكماء للاطّلاع على الطّقوس والعبادات في بلغاريا لدى المحمديّين، وفي ألمانيا المسيحيّة، وفي القسطنطينيّة لدى الروم، قبل انشقاق الشرق سنة ١٠٥٤. غير أنّ المسيحيّة كانت قد دخلت جزئياً روسيا على يد القدّيسين كيرللس وميتوديوس من بلغاريا، اللذين بشّرا في أوروبا الوسطى في القرن السابق.

أعجبت البعثة بالطقس اليونانيّ، وقالوا: "لم نعرف إذا كنّا في السماء أم على الأرض. فلا يوجد على الأرض مثل هذا المنظر وهذا الجمال، ونحن عاجزون عن وصفه. إنّما نعرف فقط أن هناك يسكن الله مع الناس، وأنّ طقسهم يفوق أيّاً آخر في جميع البلدان". لقد دوّن أحد الرّهبان هذه الشّهادة في "أحداث الأزمنة الغابرة" بعد جيل ونصف.

كان للأمير فلاديمير خمس نساء وثمانماية متسرّية. فتركهنّ كلّهنّ لكي يتزوّج حنّة الأميرة البيزنطيّة، كشرط وضعه فلاديمير للامبراطور باسيليوس الثاني الذي طلب مساندته العسكريّة في حرب الامبراطوريّة البيزنطيّة ضدّ بارداس فوكاس (Bardas Phocas) في Crimée، بينما اشترط الامبراطور باسيليوس من جهته على الأمير فلاديمير أن يقبل سرّ المعموديّة، وكان ذلك

سنة ٩٨٧. وما شجّعه على المعمودية جدّته الأميرة Olga التي اتّجهت إلى القسطنطينيّة في منتصف القرن العاشر.

بعد أن اعتمد فلاديمير في ٦ كانون الثاني ٩٨٨، اعتمد أهل Kiev جَماعيّاً في مياه Dniepr، في الأشهر اللاحقة. لقد افتدت الأميرة حنّة، التي تزوجّها، خطاياه الكثيرة بسخائها. في عهده وبنتيجة اعتماده وزواجه استقرّت المسيحيّة في روسيّا، وبنيت الكنائس. وهو نفسه بنى سنة ٩٩٦ كنيسة أم الله في كييف. وسمّيت "كنيسة العُشر"، لأنّه خصّص لها عُشر مداخيله.

الكنيسة الروسيّة تعتبر فلاديمير قدّيساً منذ أواخر القرن الثالث عشر. أما الكنيسة الكاثوليكيّة فلا، بسبب عدم وجود عجائب. كانت وفاته سنة ١٠١٥، وظل اسمه متناقلاً من جيل إلى جيل، لا بفضل فتوحاته العسكريّة، بل بفضل اكتسابه النفوس بارتداده إلى المسيحيّة.

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تواصل الخطّة الراعويّة التفكير معاً في النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وعنوانه: **هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**. ونفكّر اليوم بعنصرها الثاني: إنّها **كنيسة أنطاكيّه سريانيّة ذات تراث ليتورجيّ خاصّ** (فقرة ٧-١٣).

١. كون كنيستنا **أنطاكيّة**، فإنّها تحمل أمانة مثلّثة: **للهويّة المسيحيّة** "ففي أنطاكية دُعي التلاميذ لأوّل مرّة مسيحيّين" (اعمال ١١/٢٦) ، **للوحدة الكاملة** مع خليفة بطرس وكنيسة روما لأنّ في أنطاكية أنشأ بطرس الرسول كرسيّه الأوّل، **وللنّفحة الرسوليّة** لأنّ الكنيسة الأنطاكيّة نشأت من تبشير الرسل، فانفتحت على الأمم (فقرة ٧).

أمّا ميزتها من أنطاكيّتها فهي الوحدة في الإيمان والشركة ضمن تعدّديّة ثقافية وحضاريّة. هذه التعدّدية ذات وجهين: **التيّار الآرامي السريانيّ** الطاغي في المدن الداخليّة والأرياف، **والتيّار الهلّينيّ** المسيطر على بعض المدن الساحليّة (فقرة ٩). بفضل هذا التنوّع الحضاريّ واللغويّ نشأت **كنائس محليّة**، لكلٍّ منها طابعها الخاصّ، إنّما مع المحافظة على الشركة والوحدة: "كان الذين آمنوا جماعة واحدة، يجعلون كلّ شيء مشتركاً بينهم... وكانوا قلباً واحداً ونفساً واحدة" (أعمال ٢/٤٤؛٤/٣٢). وظهرت هذه الشركة والوحدة في مجمع أورشليم (أعمال ١٥/١-٢٩). وكانت قاعدتهم لاهوت جسد المسيح الواحد والمتعدّد الاعضاء (١ كور ١٢/١٢-٣٠). وقد أبرز القدّيس اغناطيوس الانطاكيّ لاهوت الكنيسة المحليّة التي تتكون حول سرّ الافخارستيّا، ويضمن الأسقف وحدتها (فقرة ٩-١٠).

وتجلّت الشركة والوحدة **في النظام الأسقفي المجمعيّ** الذي هو في أساس النظام البطريركيّ. واصبح **السينودس البطريركيّ** المكان الذي تعتلن فيه الشركة بين الكنائس المحليّة من خلال ممارسة المجمعيّة الأسقفيّة بروح التّشاور في الشؤون المشتركة واتّخاذ القرارات المناسبة (فقرة ١١).

٢. كون الكنيسة المارونيّة **ذات تراث ليتورجيّ خاصّ هو السريانيّ**، فإنّها تنتمي إلى عائلة الكنائس ذات التّراث السريانيّ في فرعيه الغربيّ والشرقيّ. إنّه تراث لاهوتيّ وروحيّ وليتورجيّ علّمته مدارس أنطاكية والرّها ونصيبين اللاهوتيّة. وتجلّى على الصّعيد الليتورجيّ بالصّلوات الشعريّة التي نظمها لاهوتيّون شعراء أمثال: القدّيس أفرام (٣٧٣+)، والقدّيس يعقوب السروجي (٥٢٦+)، وبلاي (٤٣٢+) وسواهم.

يشكّل هذا التراث السريانيّ المصدر الأساس للصلوات المارونيّة ويتميز بثلاثة: الطابع المريميّ، والدعوة إلى التوبة، ورجاء ملاقاة العروس السماويّ في نُهية الزمن (فقرة ١٢).

تقتضي **الخطّة الراعويّة** وعي هذا التراث السريانيّ المشترك، والنهل من روحانيّته، والعمل على نبش كنوزه، بهدف تعزيز رسالة كنيستنا، وتأوينها في ضوء خصوصيّتها (فقرة ١٣).

***

صلاة

أيّها الآب السماويّ، نسألك باسم يسوع أن ترسل إلينا روحك القدّوس الذي يسبر أعماق الإنسان ويعرف ما في داخله، لكي يعطينا القدرة على معرفة ذواتنا، كما تعرفنا أنت، ونعرف هويّة كنيستنا ودعوتها ورسالتها. فنعكس وجهها في مجتمعنا ونلتزم برسالتها في خدمة الإنسان والشّعوب بتثمير تراثها الروحيّ والاجتماعيّ والثقافيّ، لك المجد أيّها الآب على محبتك، وأيّها الابن على نعمتك، وأيّها الروح القدوس على أنوارك. آمين.

الأحد الثاني بعد الدّنح

سرّ المسيح يكشف سرّ الإنسان

من إنجيل القدّيس (يوحنّا ١/٣٥-٤٢)

في الغد أيضاً كان يوحنّا هو واثنان من تلاميذه. ورأى يسوع ماراً فحدّق إليه وقال: "ها هو حملُ الله. وسمع التلميذان كلامه، فتبعا يسوع. والتفت يسوع، فرآهما يتبعانه، فقال لهما: "ماذا تطلبان؟" قالا له: "رابّي، أي يا معلّم، أين تقيم؟". قال لهما: "تعاليا وانظرا". فذهبا ونظرا أين يقيم. وأقاما عنده ذلك اليوم، وكانت الساعة نحو الرابعة بعد الظهر. وكان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد التلميذين اللذين سمعا كلام يوحنّا وتبعا يسوع. ولقي أوّلاً أخاه سمعان، فقال له: "وجدنا مشيحا، أي المسيح. وجاء به إلى يسوع، فحدّق يسوع إليه وقال: "أنت هو سمعان بن يونا، أنت ستدعى كيفا، أي بطرس الصخرة".

***

جرى هذا الحدث غداة اعتماد يسوع في نهر الأردن على يد يوحنّا المعمدان. فسُمّي اعتماده **بالغطاس**، للدلالة إلى نزوله في الماء وسكبه عليه. وفي المناسبة اعتلن سرّ يسوع أنّه "ابن الله"، وظهر الله في حقيقته أنّه ثالوث قدّوس: الآب بالصوت، والابن بشخص يسوع، والروح القدس بشكل حمامة، فسمي الحدث **بالدنح**، وهي لفظة سريانيّة تعني "الظهور".

وجاءت شهادة يوحنّا المعمدان عن يسوع، في إنجيل اليوم، لتكمل اعتلان سرّه أنّه "**حمل الله**"، وأضافت شهادة تلميذه أندراوس أنّه "**المسيح**". فكان أن انكشف في ضوء سرّ المسيح سرُّ الانسان.

■ أوّلاً، مضمون النصّ الانجيليّ

١. حمل الله

سار يسوع في موكب الخطأة الطالبين "معموديّة يوحنّا للتّوبة" (مر ١/٤)، هو الذي لم يعرف خطيئة. وقد سأل يوماً: "من منكم يستطيع أن يبكّتني على خطيئة؟" (يو٨ /٤٦). وسيقول عنه بولس الرّسول: "هو مجرّب في كلّ شيء مثلنا، ما عدا الخطيئة" (عبرانيين ٤/١٥). ونقول في القدّاس المارونيّ: "واحد ظهر على الارض بلا خطيئة هو ربّنا يسوع المسيح، غفران جنسنا العظيم". هذا لا ينفي أنّ سيّدتنا مريم العذراء الكليّة القداسة هي أيضاً ظهرت من دون خطيئة، لكنّ الذي عصمها من خطيئة آدم الأصليّة هو الله باستحقاقات من سيكون ابنها يسوع المسيح، ابن الله المتجسّد، وعصمتها النعمة الالهيّة من كلّ خطيئة شخصيّة بتجاوبها الكامل معها، فكانت الأمّ القدّوسة للابن القدوس، فادي الإنسان ومخلّص العالم.

لكنّ يوحنّا المعمدان، الممتلىء من الرّوح القدس، رأى فيه "**حمل الله**" الذي يدشّن رسالة الفداء، هو الذي قال أنّه أتى "ليبذل نفسه فدىً عن الكثيرين" (مر١٠/٤٥). بهذه الكلمة استبق معمودية الدم بموته على الصليب، تكفيراً عن خطايانا وغفراناً عنها، وستكتمل معموديّته بقيامته التي تفجّرت منها الحياة الإلهيّة في المؤمنين. المعموديّة بحدّ ذاتها عبور فصحيّ بالموت والقيامة: الموت عن حالة الخطيئة، والقيامة إلى حالة النعمة.

شهادة يوحنّا المعمدان عن يسوع "حمل الله" هي **شهادة نبويّة**: ففيما

سمّاه أشعيا النّبي "عبد يهوه" أو "خادم الله المتألم"، وشبّهه بحمل صامت يساق إلى الذبح، ولا يفتح فاه، وهو يحمل خطايا الكثيرين ويشفع في معاصيهم" (أشعيا ٥٣/٧ و١٢)، اعتبره يوحنّا المعمدان هذا الحمل الفصحيّ إيّاه، المرموز إليه بحمل الفصح اليهوديّ (خروج ١٢/٢). سيقول عنه فيما بعد بولس الرسول: "لقد ذُبح حمل فصحنا وهو المسيح" (١ كور ٥/٧)، و"لم يُكسر له عظم" (يو ١٩/٣٦)، كما ترسم الشريعة بالنسبة إلى حمل الفصح اليهوديّ (خروج ١٢/٤٦).

حمل الله يعني الفادي الالهيّ الذي أرسله الله، فأتمّ بموته وقيامته الفداء، و"اشترانا بثمن دمه الغالي، لكي لا نصير عبيداً لأحد" (١ كور ٦/٢٠؛ ٧/٢٣)، مكتسباً الخلاص لجميع الناس، وباعثاً فينا قوّة الرجاء الذي لا يُقهر، والذي يعضدنا في تعزيز العدالة والسلام، ويمكّننا من الانتصار على الشرّ بالخير (روم ١٢/٢١)، وعلى بناء عالم أفضل. هذا الحمل الفادي الالهيّ يسميّه بولس الرسول "**سرّ التقوى**" (١ تيم ٣/١٦) الذي "يرفع"، يزيل، "**سرّ الاثـم** الحاضر والفاعل في العالم" (٢ تسا ٢/٦-٧)، ويعطي الانسان ما يكفيه من الطاقات لمقاومة سرّ الاثم، الذي يسمّيه الربّ يسوع "أبواب الجحيم" (متّى ١٦/١٨) وقداسة البابا بندكتوس السادس عشر "قوى الظلمة" (المقابلة العامّة في ٢٢/١١/٢٠٠٦). ذلك بفضل اتحاد المسيح بكلّ إنسان، وهو اتّحاد تمّ بتجسّد ابن الله والفداء بموته، والتبرير بقيامته، وبحلول الروح القدس الذي يملأ العالم (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٢؛ حكمة ١/٧).

في زمن يتفشّى فيه "سرّ الاثم" ويكثر الشرّ والقتل والحقد، وتتسع رقعة العداوات والانقسامات، ويؤثر الناس والمسؤولون لغة العنف والحرب والترهيب، من الضرورة ان نوجّه العقل والارادة والقلب إلى المسيح الربّ الذي هو وحده فادينا، فادي الإنسان، وأن نتلّمس وجهه لأنّ فيه وحده

الخلاص، لكونه "ابن الله الذي تأنّس من أجلنا ومن أجل خلاصنا" (قانون الايمان). إنّه حاضر في الكنيسة التي هي جسده، ويعمل بواسطتها وهو رأس هذا الجسد؟ "الكنيسة هي في المسيح كالسّر، أي هي علامة الاتحاد الحميم بالله وأداته، وهي كذلك علامة وحدة الجنس البشريّ كلّه وأداتها (الدستور العقائديّ: في الكنيسة، ٥). هذه الشركة العاموديّة مع الله والأفقيّة مع جميع الناس، هي ثمرة الفداء بدم "الحمل الالهيّ"، وهي رسالة الكنيسة في عالمنا.

٢. المسيح

"وجدنا المسيح! (يو ١/ ٤١). هذه شهادة أندراوس أحد تلميذَي يوحنّا المعمدان اللذين تبعا يسوع، أعطاها لأخيه سمعان - بطرس، بعد أن قضى النهار معه بصحبة تلميذ آخر. إنّه وجه جديد من شخصيّة يسوع يضاف إلى كونه "حمل الله"، فهو "**المسيح**" الذي، حسب اللفظة الآرامية، "مسحه الله بالروح القدس" (أعمال١٠/٣٨)، وكرّسه لرسالة الفداء، نبيّاً وكاهناً وملكاً بامتياز، لكونه "ابن الله"، بشهادة يوحنا المعمدان أمام التلميذين (أعمال ١/ ٣٤). لقد جرت "مسحة التكريس" ساعة قبوله المعموديّة على يد المعمدان، إذ انفتحت السماوات، وحلّ عليه الروح القدس بشبه حمامة، وأعلنه الآب بالصوت: "أنت ابني الحبيب، بك سررت" (لو ٣/ ٢٢).

شهادة **أندراوس** مكتَسبة من "إقامته مع يسوع طوال النهار"، بفضل الروح القدس الذي ناله هو أيضاً بنتيجة هذه "الإقامة". فمن يلتقي يسوع بإيمان ينال هبة الروح القدس. في الواقع، أندراوس رجل إيمان ورجاء. بتتلمذه ليوحنا كان يبحث بشوق عن المسيح ويشارك شعبه في رجاء انتظاره. فما أن سمع من المعمدان أنّ يسوع هو "حمل الله"، حتى سار وراءه وتبعه، فكان المدعو الأوّل. ولما اكتشف المسيح، صار رسوله فأخذ

أخاه سمعان وجاء به إلى يسوع. "أندراوس" اسم يوناني اللفظة، تكرّمه الكنيسة البيزنطية بلقب بروتوكليتوس- Proto'klitos الذي يعني "المدعوّ الأوّل".

ثمّة رابط عضوي بين لقبي يسوع الجوهريين: حمل الله والمسيح. فيسوع هو مرسل الآب، "**مسحه**" مالئاً بشريته من الروح القدس، **وأرسله** ليبذل نفسه **فدىً عن الكثرين** (متّى ٢٠/٢٨). لفظة مسيح تنطوي في آن على الارسال والفداء. وهكذا تكتمل شهادتنا يوحنّا المعمدان وأندراوس: "يسوع هو ابن الله المرسل بمسحة الروح القدس لفداء العالم".

٣. سرّ الانسان: حبّ وطاعة

يسوع المسيح، هذا "النور الذي ينير كلّ إنسان آتٍ إلى العالم" (يو ١/٩)، عندما يدعو إنساناً "ليأتي وينظر"، كما دعا التلميذين (يو ١/٣٩)، يكشف ذاته لهذا المدعو، ويكشف له سرّ الإنسان. لقد كشف يسوع نفسه لأندراوس، فعرفه أنّه "المسيح"، وكشف لسمعان بن يونا، شقيق أندراوس الذي اقتاده إلى يسوع، دعوته في الحياة، فحوّل اسمه من سمعان إلى بطرس أي الصخرة. وبعد أيّام، "فيما كان يسوع سائراً على شاطىء البحر، رأى سمعان وأندراوس يلقيان الشباك في الماء، فقال لهما: إتبعاني، أجعلكما صيادَي البشر! وللحال تركا شباكهما وتبعاه" (مر ١/١٦-١٨).

حبّ وطاعة، هذه هي قصّة الإنسان مع الله. **أحبّ** أندراوس يسوع، على شهادة المعمدان، وتبعه مع التلميذ الآخر، ومكث عنده طوال النهار، وفهمه على حقيقته أنّه "المسيح". وعندما دعاه ليتبعه نهائيّاً **أطاع** النّداء وترك كلّ شيء وتبعه. كذلك سمعان أخوه **أحبّ** يسوع وجاء يبحث عنه، على شهادة أندراوس، فبادره يسوع بأنه يعرفه ويعرف اسمه وبدّله إلى "بطرس-

الصخرة". ولمّا مرّ به يسوع على شاطيء البحيرة وقال له: "إتبعني"، أطاع وترك الشباك وتبعه.

يقول الطوباويّ شارل دي فوكولد إنّ حياتنا "سير على دروب الله غير المتوقّعه". فعندما يأتي الله في حياتنا، من خلال أيّة حالة أو ظرف، و"يأمر"، ينبغي أن نطيع. ولكنّ الذي يطيع هو من تعوّد على محبّة الله. لبّى سمعان وأندراوس دعوة يسوع في لحظة، وتركا كلّ شيء وتبعاه (لو ٥/١١)، لأن حياتهما السابقة كانت مبنيّة على حبّ في القلب للّه، وتعوّدا، دونما شكّ، أن يقولا "نعم" في كلّ لحظة. المحبة أساس الطاعة الأصيلة والسخيّة التي تنفي كلّ شعور بالعبوديّة. ألم يقل الربّ يسوع: "من يحبنّي يحفظ وصاياي!" (يو ١٤/١٥). وأعطانا المثل بنفسه: "أتيت لأصنع مشيئة الآب الذي أرسلني" (يو ٦/٣٨). قبل ساعات من تسليم ذاته للصّلب فدى عن البشريّة جمعاء، قال: "ينبغي أن يعرف العالم أنّني أحبّ الآب، وأنّني أعمل بما أوصاني به " (يو ١٤/٣١). هذا هو الرباط بين المحبّة والطاعة.

إنّ للّه تدبيراً لكلّ واحد منّا في تاريخ الخلاص، ما يعني أنّ له دوره الخاصّ في تتميم إرادة الله عبر التاريخ. ولهذا علّمنا الربّ يسوع في صلاة الأبانا أن نقول: "لتكن مشيئتك". لا يوحي لنا الله إرادته بظهور ملاك أو بصوت واضح وصريح، بل نكتشفها نحن بالصلاة وسماع كلامه في الكتب المقدّسة، واستلهام الروح القدس، وقراءة علامات الأزمنة، وتسليط أنوار الكلمة، يسوع المسيح، على هذا الحدث أو ذاك في حياتنا اليوميّة. الله يقود خطانا بواسطة رسول هو كلّ حدث يوميّ أو ظرف. يقول الطوباويّ الأخ شارل: لندع ذواتنا بين يدي الله بأمانة وحبّ وطاعة كبيرة، ليقودنا إلى حيث يشاء. والأخت الصغيرة مدلين كانت تردّد: "أخذني الله بيده، فتبعته

بطاعة عمياء". هذه حال الرسولين أندراوس وسمعان-بطرس في انجيل اليوم.

مع الله نعيش يوماً بيوم، ولحظة بلحظة، متممين إرادته، كيفما تجلّت، فنكون في سلام داخلي عميق. نخطط للمستقبل بإرادتنا التي تتكيّف وفقاً لإرادة الله، الذي غالباً ما يأتي بمبادرات تخالف مشاريعنا، وتقتضي تبديل اتجاهها.

■ ثانياً، وجوه من كبار الدنيا نالوا ثمار الفداء

ثمار الفداء جارية في التاريخ مذ رُفع يسوع عن الأرض، وراح يجتذب كلّ إنسان (راجع يوحنا ١٢/٣٢). إنّها جارية بواسطة المعموديّة، هذا الخلق الجديد بالمسيح، الذي شمل ملوكاً وشعوباً، ما جعل المسيحية تنتشر وتشكل حضارة الشعوب. رأينا في الأسبوع الماضي انتشار المسيحيّة في روسيا بواسطة معمودية فلاديمير أمير كييف، ومعمودية شعبها. ونستعرض اليوم معمودية كلوفيس Clovis (٤٩٥-٥١١) أوّل ملوك فرنسا الفرنج (٤٨١)، جرمانيّ الأصل ووثنيّ.

سعى الأساقفة الفرنج إلى أن يتزوج كلوفيس من كلوتيلد الكاثوليكية، وهي من أسرة ملوكية، فكان أن اجتذبته إلى الإيمان المسيحيّ الكاثوليكيّ في بلد كانت فيه بدعة آريوس تنسحب على الغالبيّة. في حربه ضد الألمان التجأ إلى إله كلوتيلد، وقطع وعداً بأن يعتمد إذا نصره على أعدائه، فكان الانتصار العجيب. وفيما راح يتردد بين اعتناق الآريوسية أو الدين الكاثوليكي، دبّرت كلوتيلد لقاء بين كلوفيس ومطران Reims الأسقف ريمي لمناقشة العلاقة بين اللاهوت والسياسة. وإذ ظلّ كلوفيس متردّداً، أشارت إليه جنفياف النبيّة حامية باريس أن يقوم بزيارة إلى ضريح القدّيس

مرتينوس في Tours. فوجد مدينة تحوّلت إلى مركز روحيّ كبير حيث يجتمع جماهير المؤمنين في يوم عيده، ١١ تشرين الثاني. وصل إليها كلوفيس في تلك المناسبة من سنة ٤٩٩. ورأى هناك حول ضريح القديس ومزاره كل أنواع البؤس في مملكته بأعداد كبيرة من العرج والعميان والمصابين بشتّى الاعاقات، وشاهد العديد من الشفاءات. فكان له وحي إلهيّ جديد، اجتذبه إلى الله الكلّيّ القدرة. فأدرك أنّ قوة الله ليست بالجيوش المنتصرة، بل برحمته. طلب المعموديّة وقبلها في عيد الميلاد سنة ٤٩٩ في Reims، مع ٣٠٠٠ مقاتل من حرسه الخاصّ. وقال الكلمة الشهيرة: "ليس من السهل أن يتفلّت أحد من يد الله". فسلّم ذاته للربّ وتركه يحوّله من عمق أعماقه.

بفضل المعموديّة تبدّلت طريقة حكم الملك كلوفيس، وحقق الانتصارات في حروبه، واعتنى عناية كبيرة بتجنيب المدنيين وتحرير أسرى الحرب. فنال من أمبراطور الشرق الروماني، أنستاز Anastase، لقب حامي الارث الرومانيّ الروحيّ والزمنيّ. وبطلب من كلوفيس وقبيل وفاته انعقد مجمع Orléans سنة ٥٠٠، الذي أصلح العادات ووحّد الشعوب الفرنسيّة الرومانيّة، وعزّز الدين المسيحي، وصحّح الممارسات الجرمانيّة القائمة على القوّة والعنف.

شكّل كلوفيس نموذجاً للأجيال ومرجعيّة وملكاً كبيراً ترك إرثاً مسيحيّاً عظيماً. بمعموديّته بدّل المستقبل، إذ معه انتهت سلسلة الملوك الفرنج الوثنيّين. وهكذا أمكن بارتداد رجل تغييرُ وجه شعب، وطبعُ تاريخٍ برجاء ونور عظيمين.

ما أحوج وطننا وهذه المنطقة من العالم إلى ارتداد ملوك ورؤساء، لكي تسلم الشعوب وينبثق فجر السلام!

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تتناول الخطّة الراعويّة النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**. نفكّر معاً في العنصر الثالث من هويّتها، وهو أنّها **كنيسة خلقيدونيّة** (الفقرات ١٤-١٧).

١. هي **خلقيدونيّة**، نسبة إلى مجمع خلقيدونيا، المجمع المسكونيّ الرابع المنعقد سنة ٤٥١، والذي أثبت أنّ المسيح هو في طبيعتين كاملتين إلهيّة وإنسانية، متّحدتين بشخص ربّنا يسوع المسيح. وبهذا تأكيد على إنسانيّة السيّد المسيح وعلى حقيقة التجسّد والخلاص. هذا الايمان اعترف به رهبان دير مار مارون، مهد الكنيسة المارونيّة.

الميزة الأولى التي ينبغي وعيها والشهادة لها في حياتنا هي **الأمانة لسرّ التدبير الخلاصيّ**، الذي وضعه الله بالمسيح للبشريّة جمعاء (فقرة ١٤).

٢. وكون كنيستنا خلقيدونيّة، فقد بدأ ظهورها لأوّل مرّة في **اتّحادها مع كرسي بطرس في روما**، لأنّ العقيدة التي أعلنها المجمع قد حدّدها البابا لاوون الكبير في الرسالة الموجهة سنة ٤٤٩ إلى فلافيانوس، بطريرك القسطنطينيّة، بشأن الطبيعتين في المسيح، خلافاً للقائلين بأنّ فيه طبيعة واحدة بعد التجسّد، حيث تتلاشى الانسانيّة في الألوهيّة، وهذا يؤدّي إلى إفراغ حدث التجسّد من معناه الخلاصيّ.

الميزة الثانية في حياتنا وشهادتنا هي **الأمانة لمفاعيل سرّ التجسّد** عبر

اتّحادنا بالله في المسيح بواسطة سرّ الافخارستيا: "وحّدت يا ربّ لاهوتك بناسوتنا، وناسوتنا بلاهوتك، حياتك بموتنا وموتنا بحياتك. أخذت ما لنا وأعطيتنا ما لك، لتحيينا وتخلّصنا، لك المجد إلى الأبد" (نافور القدّاس المارونيّ، فقرة ١٥).

٣. الهويّة الخلقيدونيّة هي الأساس لدعوة الكنيسة المارونيّة ورسالتها؛ أعني لأن **تعيش روحانيّة التجسّد** في بيئتها اللبنانيّة والمشرقيّة. فيسعى أبناؤها مع شركائهم في المصير، من مسيحين ومسلمين، إلى العمل معاً من أجل ترقّي الإنسان والمجتمع، ثقافيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً وسياسيّاً. وبذلك يستعيد الانسان بهاء صورة الله فيه، المتجلّية في شخص المسيح، ويحافظ على كرامته ويعزّزها (فقرة ١٧).

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، أعطنا أن ندرك كلّ يوم أنّك تدعونا إلى مدرستك، حيث نتعلّم من شخصك وأقوالك وأفعالك أن نشهد للقيم الروحيّة والخلقيّة في بيئتنا، قيم الطيبة والجودة والاستقرار. علّمنا أن نكون حاضرين بقرب العائلات التي تعاني من التعب والمرض والفقر والخلافات، لنزرع فيها الوئام والطمأنينة والسلام. علّمنا كيف نجعل عائلاتنا مدرسة إيمان وتجرد ونشاط، فتكون في خدمة العائلة الوطنيّة الأكبر، لك المجد مع الآب والروح القدس، إلى الأبد، آمين.

الأحـد الثالث بعد الدّنح

حياة المسيح فينا

من إنجيل القدّيس يوحنّا ٣/١-١٦

كان إنسان من الفرّيسيين، اسمه نيقوديموس، رئيساً لليهود. هذا جاء ليلاً إلى يسوع وقال له: "رابي، نحن نعلم أنّك جئت من الله معلّماً، لأنّه لا أحد يقدر أن يصنع الآيات التي أنت تصنعها ما لم يكن الله معه". أجاب يسوع وقال له: "الحقّ الحقّ أقول لك: لا أحد يقدر أن يرى ملكوت الله ما لم يولد من جديد". قال له نيقوديموس: "كيف يقدر إنسان أن يولد وهو كبير في السنّ؟ هل يقدر أن يدخل ثانية حشا أمّه ويُولد؟". أجاب يسوع: "الحقّ الحقّ أقول لك، لا أحد يدخل ملكوت الله ما لم يولد من الماء والروح. مولود الجسد جسد، ومولود الروح روح. لا تَعجبْ إن قلت لك: عليكم أن تولدوا من جديد. الريح تهبّ حيث تشاء، وأنت تسمع صوتها، لكنّك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تمضي. هكذا كلُّ مولود من الروح". أجاب نيقوديموس وقال له: "كيف يمكن أن يصير هذا؟". أجاب يسوع وقال له: "أنت معلم إسرائيل وتجهل هذا؟ الحقّ الحقّ أقول لك، نحن ننطق بما نعلّم، ونشهد بما رأينا، وأنتم لا تقبلون شهادتنا. كلّمتكم في شؤون الأرض ولا تؤمنون، فكيف تؤمنون إذا كلّمتكم في شؤون السماء؟ ما من أحد صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، أي إبن الانسان. وكما رفع موسى الحيّة في البريّة، كذلك يجب أن يُرفع ابن الانسان، لكي تكون لكلّ مؤمن به حياة أبديّة. هكذا أحبّ الله العالم، حتى إنّه جاد بابنه الوحيد، لكي لا يهلك أيّ مؤمن به، بل تكون له حياة أبديّة".

■ أوّلاً، مضمون النصّ الانجيليّ

كشف الربّ يسوع لنيقوديمس، الفريّسيّ والرئيس اليهوديّ، جوهر رسالته وغايتها، أعني خلق الانسان من جديد بولادته الثانية من الماء والروح بواسطة المعموديّة. هذه الولادة الثانية تدخله من جديد في شركة اتّحاد بالله عاموديّاً، وفي شركة الوحدة مع الجماعة المؤمنة في الكنيسة أفقيّاً. هذا ما عناه الربّ يسوع بقوله لنيقوديمس: "إنْ لم يولد الانسان من الماء والروح، لا يستطيع أن يدخل ملكوت الله" (يو٣/٥).

١. الولادة الثانية من الماء والروح

الولادة الثانية من الماء والروح تتمّ بواسطة المعموديّة التي تشرك المعَّمد في موت المسيح وقيامته: "بالموت" عن الخطيئة و"القيامة" إلى الحياة الجديدة بالروح القدس. هذه الولادة الثانية هي الخلق الجديد (٢ كور ٥/١٧) الذي يعيد للانسان بهاء طبيعته الأولى المخلوقة على صورة الله، والتي خسرها بخطيئة آدم وحوّاء. فانكسرت الشركة مع الله وبين الناس، كما يصفها سفر التكوين في فصوله الأولى.

لفظة **معموديّة**، حسب الأصل اليونانيّ من فعل baptizein، تعني الغطس أو النزول في الماء ثمّ النهوض منه. النزول والنهوض هما رمز الموت والقيامة. فالماء المتفجّر من الأرض يرمز إلى الحياة، وماء البحر يرمز إلى الموت ويمثّل سرّ الصليب. من هذه الرموز نفهم أنّ المعموديّة تعني الشركة مع المسيح في موته (كتاب التعليم المسيحيّ، ١٢٢٠).

الربّ يسوع نفسه استعمل لفظة "**معموديّة**" عندما تكلّم عن سرّ آلامه وموته مع يعقوب ويوحنّا ابنَي زبدى، إذ سألهما: "أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أنا أشربها، وأن تصطبغا الصبغة التي أنا أصطبغها؟"

(مر ١٠/٣٨). فأصبح الماء مجرّد رمز للموت والحياة، أمّا من يحقّق الولادة الثانية أو الخلق الجديد، فهو الروح القدس محقّق ثمار الفداء. وكانت العلامة النبويّة في الدم والماء اللذين سالا من جنب يسوع المطعون بالحربة وهو ميت على الصليب، وكانا صورة المعموديّة والأفخارستيّا، سرّي الحياة الجديدة (يو ١٩ / ٣٤). هذه هي "شهادة الروح والماء والدم. والثلاثة هم في واحد" (١ يو٥/٨). هذا الواحد هو المسيح.

كانت المعموديّة موجودة قبل المسيح، وهي معموديّة التوبة التي مارسها يوحنّا المعمدان. وكانت معموديّة رمزيّة بالماء. لكنّ غفران الخطايا أتى من بعد تحقيق سرّ الفداء بموت المسيح وقيامته. ومن بعده سلّم الربّ الرسل، كهنة العهد الجديد، سلطان الحلّ من الخطايا: "خذوا الروح القدس، من غفرتم له خطاياه غُفرت، ومن حفظتم عليه خطاياه حُفظت" (يو٢٠/٢٣)، وسلطان تعميد المؤمنين: "أُمضوا الآن وأعلنوا الانجيل لكلّ الأمم، وعمدّوهم باسم الآب والابن والروح القدس، (متى٢٨/١٩)، وأضاف الربّ: "هذا ما كتب: على المسيح أن يتألمّ ويقوم في اليوم الثالث من بين الأموات. وباسمه ينادى بالتوبة وبغفران الخطايا في جميع الشعوب" (لو٢٤/٤٦-٤٧)، وختم: "من يؤمن ويعتمد يخلص، ومن لا يؤمن يُدان" (مر١٦/١٦).

الولادة الثانية من الماء والروح **تأتي من موت المسيح**: "لقد مات من أجلنا، به افتُدينا، وبه خَلُصنا". هذا ما يؤكّده القدّيس أمبروسيوس (راجع كتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٢٢٥). وقد أعطانا الربّ يسوع نموذجاً عن هذه الولادة الجديدة في "حبّة الحنطة التي إذا وقعت في الأرض وماتت، أتت بثمر كثير" (يو ١٢/ ٢٤). أمّا في إنجيل اليوم فالحقيقة أكّدها بهذا الكلام: "كما رفع موسى الحيّة في البريّة، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن

الانسـان، حتـى لا يـهلك كـلّ مـن يـؤمـن بـه، بـل تـكـون لـه الـحيـاة الأبـديّـة" (يو ٣/١٣-١٥).

٢. الدخول في ملكوت الله

ملكوت الله هو الكنيسة، التي "هي زرعه وبدايته في العالم" (الدستور العقائديّ: في الكنيسة،٥)، على أن يكتمل في نُهية الأزمنة في السماء. ونعني بالكنيسة "المسيح الكليّ" أي: المسيح، وأعضاء جسده جماعة المؤمنين به. ملكوت الله هو الاتّحاد القائم بين الله والناس، فظهر أوّلاً في شخص المسيح، الاله والانسان، وفي أقواله وأمثاله ومعجزاته، وتكوّن بشكل منظور في الكنيسة المؤلّفة من العنصرين الالهيّ والبشريّ، برباط الروح القدس (المرجع نفسه).

الدخول في هذا الاتّحاد بالله الثالوث يتمّ بواسطة الايمان بالمسيح، والمعموديّة التي هي بمثابة **الباب** إلى الحياة بالروح، أعني التحرّر من الخطيئة، والولادة من جديد كأبناء للّه، والانتماء العضويّ إلى جسد المسيح، والاندماج في سرّ الكنيسة والشركة في رسالتها. ولذا تكون المعموديّة **البابَ إلى سائر الأسرار** التي لا ينالها سوى الذين اعتمدوا، أي الذين أصبحوا أغصاناً في كرمة المسيح (يو ١٥/١-٨) وبالتالي تصل اليهم الماويّة الروحيّة التي تنبع من الأسرار، أعني هبة الروح القدس وغذاء جسد الربّ وغفران الخطايا ونعمة الشفاء ومسؤوليّة الخدمة والرسالة.

فالأسرار السبعة تحتوي، بالنسبة إلى الحياة الجديدة الروحيّة، على الولادة والنموّ، وعلى الشفاء والرسالة، تماماً كما تقتضي الحياة الطبيعيّة. ولذا تقسم الأسرار إلى ثلاث مجموعات: أسرار النشأة والتنشئة (المعموديّة والميرون والقربان)، وأسرار الشفاء (التوبة ومسحة المرضى)،

وأسرار الخدمة والشركة (الكهنوت والزواج). لكنّها تشكّل معاً وحدة عضويّة، يحتلّ فيها سرّ الأفخارستيّا مكاناً فريداً، لكونه "سرّ الأسرار"، فهي كلّها مرتّبة إليه كإلى غايتها، كما يقول القدّيس توما الأكويني (كتاب التعليم المسيحيّ، ١٢١٠-١٢١١).

٣. الحياة في المسيح والسلام

الدخول في ملكوت الله هو في الجوهر **الحياة في المسيح**، بل **حياة المسيح فينا**. كما الكرمة تعطي ماويّتها للأغصان فتثمر ثمارها، كذلك هي حياة المسيح القائم من الموت تجري فينا فنعمل أعماله بأعمالنا. يا للمسؤولية! ويا للشرف! القدّيس بولس عاش هذا الواقع وعبّر عنه بالقول: "أنا أحيا، ولكن لا أنا الذي يحيا، بل هو يسوع الذي يحيا فيَّ" (غلا ٣/ ٢٠).

ناجى **الطوباويّ الأخ شارل دي فوكولد** الربّ بهذه الصلاة: "أنت تسكن في النفس الأمينة يا ربّ. تصبح كأنّك نفس هذه النفس، نعمتك تعضدها في كلّ شيء، وتقودها في كلّ شيء، وتنير عقلها، وتوجّه إرادتها، ليست هي التي تعمل، بل أنت تعمل فيها". ويضيف: "يسوع الحيّ في النفس المؤمنة إنّما يستعملها ليمجّد الله ويقدّس الناس. إنّ الربّ يطلب منّا أن ندعه يواصل فينا الحياة التي بدأها على الأرض. فلندعه يعيش فينا".

لقد ردّد آباء الكنيسة أنّ "الله صار إنساناً لكي يصير الانسان الله". ذلك أنّ الانسان أصبح بالمعموديّة والأسرار سكنى الله الحيّ، وحامل المسيح (Christophore) ، الذي تتفجّر حياته فينا.

"**المسيح سلامنا**" (أفسس ٢/ ١٤). عندما يسكن المسيح فينا نصبح فاعلي سلام وبالتالي أبناء للّه (متّى ٥/ ٩) بالابن الوحيد، وتصبح حياتنا انعكاساً لقلب المسيح ولسلامه. هذا السلام، قال عنه الطوباويّ البابا يوحنّا

الثالث والعشرون في وصفه رسالته العامّة "السلام على الأرض": بأنّه **السلام مع الله** في إتمام مشيئته، **والسلام مع البشر** في احترام حقّ كلّ واحد منهم، لكونه مختوماً بوجه العليّ (مز ٤/٧)، **والسلام في العائلة** حيث الأزواج يعاونون الله في نقل الحياة، وحيث ينمو البنون حول المائدة كأغراس الزيتون (مز ١٢٨/٣)، **والسلام في قلب الأمم**، حيث يسهر المسؤولون السياسيّون على تعزيز الخير العامّ وحسن التنظيم لحياة المواطنين، **والسلام في العلاقات بين الشعوب** بروح الصدق والتضامن والتعاون ونبذ سوء الفهم والوعيد (رسالة فصحيّة في ١٣ نيسان ١٩٦٣).

■ ثانياً، جسد المسيح الواحد وانقسام الكنائس

يبدأ في ١٨ كانون الثاني، عيد قيام كرسيّ بطرس في روما، أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيين. يجب التمييز بين تنوّع الكنائس في وحدة شركة الايمان والعقيدة، والانشقاقات التي تكسر هذه الوحدة- الشركة.

في الكنيسة الجامعة المقدّسة الرسوليّة يوجد تنوّع الطقوس أو الكنائس، وهي: الطقس الرومانيّ في كنيسة روما، أو الكنيسة الغربيّة، وطقوس الكنائس الشرقيّة وهي، الطقس الأنطاكيّ، والطقس البيزنطيّ أو القسطنطينيّ، والطقس الاسكندريّ، والطقس الكلدانيّ، والطقس الأرمنيّ.

"الطقس- Rite" يعني التراث الليتورجيّ واللاهوتيّ والروحيّ والتهذيبيّ المتّسم بثقافة الشعوب وظروفها التاريخيّة، ويُعبّر عنه بالطريقة التي تعيش بها الايمان كلّ كنيسة متمتّعة بحكم ذاتيّ (مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة، ق ٢٨).

هذا **التنوّع** يشكّل ثروة وغنى للكنيسة الجامعة، ويجعلها مزيّنة كعروس مهيّأة لعريسها.

أمّا الكنيسة الواحدة القائمة حول خليفة بطرس على كرسي روما ونائب السيّد المسيح والمعروفة بالكنيسة الكاثوليكيّة فمنقسمة، وفيها انشقاقات توالت عليها في حقبات تاريخيّة متنوّعة.

١. **الكنيسة الأشوريّة أو كنيسة الشرق** انشقّت عن الكنيسة الكاثوليكيّة في أعقاب مجمع أفسس المنعقد سنة ٤١٣ الذي أثبت أنّ ابن الله، يسوع المسيح، إله كامل وإنسان كامل، وأنّ العذراء مريم هي والدة الاله. هذه الكنيسة تعترف بمجمعي نيقية الأوّل (٣٢١٥) الذي أثبت أنّ الابن له ذات الجوهر الذي هو للآب، والقسطنطينيّة الأوّل (٣٨١) الذي أثبت أنّ الروح القدس له الجوهر نفسه الذي للآب والابن.

٢. **الكنائس الشرقيّة الأرثوذكسيّة**، وهي القبطيّة والسريانيّة والأرمنيّة، انشقّت عن الكنيسة الكاثوليكيّة في أعقاب مجمع خلقيدونيا (٤٥١)، الذي أثبت أنّ في الابن طبيعتين كاملتين إحداهما إلهيّة والثانية بشريّة في أقنوم واحد. تعترف هذه الكنائس بالمجامع المسكونيّة الثلاثة الأوّلى: نيقية الأوّل، والقسطنطينيّة الأوّل، وأفسس.

٣. **كنائس الروم الأرثوذكس** التي تتبع الطقس القسطنطينيّ أو البيزنطيّ. انشقّت عن الكنيسة الكاثوليكيّة في سنة ١٠٥٤ لأسباب تختصّ أساساً بسلطة قداسة البابا. إنّها تعترف بالمجامع المسكونيّة السبعة الأوّلى، إضافةً إلى الأربعة المذكورة: القسطنطينيّ الثاني (٥٣٧) الذي شرح وثبّت تعاليم المجامع السابقة، والقسطنطينيّ الثالث (٦٨١) الذي أثبت أنّ في الابن مشيئتين إحداهما إلهيّة والثانية بشريّة في أقنوم واحد،

والنيقاويّ الثاني (٧٨٧) الذي أثبت تكريم الصليب وأيقونات الطوباويّة مريم العذراء والقدّيسين.

٤. **الكنائس البروتستنتيّة** التي انشقّت عن الكنيسة الرومانيّة مع مرتين لوثير Luther (١٤٨٣-١٥٤٦). بدأ في ألمانيا الاصلاح الدينيّ المعروف بالبروتستانتيّة وانفصل عن الكنيسة الرومانيّة سنة ١٥١٧ في شأن الغفرانات وسلطة البابا والتبتّل واكرام القدّيسين والمطهر والقدّاس. وتواصلت حركة الاصلاح البروتستانتيّة مع يوحنّا كلفين- Calvin (١٥٠٩-١٥٦٤) في فرنسا وسويسرا.

٥. **الكنيسة الأنغليكانيّة** التي انفصلت عن كنيسة روما سنة ١٥٣٥ مع الملك هنري الثامن (١٤٩١-١٥٤٧)، بسبب رفض البابا كليمنضوس السابع إبطال زواجه. تُسمى أنغليكانيّة بالنسبة إلى مذهب الدولة في إنكلترا.

الصلاة من أجل وحدة المسيحيين تواصل صلاة الربّ يسوع: "ليكونو واحداً، يا أبتِ كما نحن واحد. أنت فيَّ وأنا فيهم. ليكونوا واحداً فينا ليؤمن العالم أنّك أنت أرسلتني، وأنّك أحببتهم كما أحببتني" (يو ١٧/٢٢-٢٣).

يواكب الصلاة أعمال لجان مسكونيّة تعمل على مستوى عالميّ واقليميّ مثل اللجنة المسكونيّة الدوليّة ومجلس الكنائس العالميّ ومجلس كنائس الشرق الأوسط. وقد تحقّق الكثير من **الاتفاقات المسكونيّة** بين الكنيسة الكاثوليكيّة وهذه الكنائس. وتقتضي الصلاة من أجل الوحدة التزاماً روحيّاً قوامه ارتداد القلب والتجرّد والتواضع، والتزاماً بقداسة الحياة بالعيش وفقاً لروح الانجيل، والتزاماً بمواصلة الصلاة الفرديّة والعموميّة المشتركة لطلب نعمة الواحدة (متّى ١٨/ ٢٠).

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تجمع الخطّة الراعويّة الهيكليّات الرعويّة، مجالسَ ولجاناً ومنظّماتٍ رسوليّةً، فضلاً عن العائلة والجماعة الديريّة وسائر المؤسّسات والأندية، لتفكّر معاً وتأخذ المبادرات العمليّة. تتناول اليوم العنصر الرابع من هويّة كنيستنا أنّها "**بطريركيّة ذات طابع نسكيّ ورهبانيّ**" (الفقرات ١٨-٢٢)، كما يبّينه النصّ المجمعيّ الثاني وهو بعنوان: هويّة **الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**.

١. إنّها كنيسة **بطريركيّة** تكوّنت في كنف دير مار مارون بين نهايات القرن السابع والنصف الأوّل من القرن الثامن. فبرز الموارنة جماعة كنسيّة مستقلّة ضمن الكرسيّ الأنطاكيّ، **مميّزة بطابع نسكيّ ورهبانيّ** أثّر في روحانيّتها وتنظيمها الكنسيّ. تقتضي **الخطّة الراعويّة** إبراز هذا الطابع وهذا الأثر، وإيجاد السبل لتأوينه (فقرة ١٨).

٢. غير أنّ **للطابع النسكيّ الرهباني بُعدَه الراعويّ**. فدير مار مارون، ومثله سائر الأديار وما حولها من جماعات مسيحيّة، كانت في الهيكليّة الأنطاكيّة من خلال الأسقف رئيس الدير. في القرن السادس، وقبل إنشاء البطريركيّة، أسندت الكنيسة الأنطاكيّة إلى "رئيس دير الطوباويّ مارون" مهمّة أكسرخوس لأديار سوريا الثانية، كرقيب عليها ووسيط بينها وبين البطريركيّة من جهة والأمبراطور من جهة ثانية (فقرة ١٩). وظهر هذا البعد الراعويّ للطابع الرهبانيّ في سلسلة البطاركة- الرهبان مع القدّيس يوحنّا مارون، البطريرك الأوّل، وقد تواصلت دونما انقطاع حتى القرن السابع عشر. وكان الرهبان، بعد سيامتهم الأسقفيّة، يستمرّون في الحالة الرهبانيّة التي اعتنقوها، وكانت كراسيهم تُدعى

حتّى يومنا "أدياراً" (فقرة ٢٠). كما يظهر في الاسكيم الرهبانيّ الذي يتّشح به الأسقف، راهباً كان أم أبرشيّاً (فقرة ٢١).

إنطلاقاً من هذا الطابع الرهبانيّ، عُرفت الكنيسة المارونيّة بجماعة ديريّة كبيرة هي "**رعيّة البطريرك**"، تمحورت حول دير الكرسيّ البطريركيّ، ورأت في الجالس عليه "**الأب والرئيس**" والحافظ لوحدتها.

إنّ **الخطّة الراعويّة** تقتضي اتّخاذ مبادرات لتوطيد عرى الوحدة حول شخص البطريرك في الشؤون الروحيّة والراعويّة والاجتماعيّة والوطنيّة، جرياً على عادة كنيستنا من جيل إلى جيل. وتقتضي أن تحافظ الكراسي الأسقفيّة على الصلاة الخورسيّة وممارسة الأصوام وبساطة الحياة والعناية بالأرض (فقرة ٢٢).

***

صلاة

نصلّي مع الربّ يسوع:

"أيّها الآب القدّوس، احفظ باسمك الذين وهبتهم لي. ليكونوا واحداً كما نحن واحد. لا تخرجهم من العالم، بل احفظهم من الشرّير. أيّها الآب، قدّسهم بحقّك، فأنّ كلمتك هي الحقّ. كما أرسلتني إلى العالم، انا أيضاً أرسلهم إلى العالم. ولأجلهم أقدّس ذاتي، ليكونوا هم ايضاً مقدّسين بالحقّ، ويكونوا واحداً كما نحن واحد، أنا فيك وأنت فيّ، ليكونوا هم أيضاً فينا، آمين". (يوحنّا ١٧).

الأحد ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٧

أحد الكهنة

الأمانة والحكمة في ممارسة السلطة

من إنجيل القدّيس لوقا ١٢/٤٢-٤٨

"من تُراه الوكيل الأمين الحكيم الذي يُقيمه سيّده على خَدمه ليعطيهم حصّتهم من الطعام في حينها؟ طوبى لذلك العبد الذي، متى جاء سيّده، يجده فاعلاً هكذا! حقّاً أقول لكم: إنّه يُقيمه على جميع مقتنايته. أمّا إذا قال ذلك العبد في قلبه: سيتأخّر سيّدي في مجيئه، وبدأ يضرب الغلمان والجواري، يأكل ويشرب ويسكر، يجيء سيّد ذلك العبد في يوم لا ينتظره، وفي ساعة لا يعرفها، فيفصله، ويجعل نصيبه مع الكافرين. فذلك العبد الذي عرف مشيئة سيّده، وما أعدّ شيئاً، ولا عمل بمشيئة سيّده، يضرب ضرباً كثيراً. أمّا العبد الذي ما عرف مشيئة سيّده، وعمل ما يستوجب الضرب، فيضرب ضرباً قليلاً. ومن أعطي كثيراً يُطلب منه الكثير، ومن ائتُمن على الكثير يُطالب بأكثر".

***

تبدأ مع هذا الأحد أسابيع التذكارات الثلاثة: تذكار الكهنة، الأبرار والصدّيقين، والموتى المؤمنين، الذين سبقونا إلى بيت الآب. **التذكار** يعني ذكرهم بالصلاة تشفّعاً واستشفاعاً، والاقتداء بمثلهم. أمّا **التذكار بامتياز** فنجده في سرّ **الأفخارستيّا**. عندما نحتفل بالقدّاس، نحيي تذكار موت المسيح وقيامته، بحيث تتحقّق الآن عمليّة فدائنا أعني استمراريّة موته على

الصليب فداءً عنّا، وقيامته من بين الأموات لتبريرنا، واستمراريّة وليمة جسده ودمه في العشاء الفصحيّ للحياة الالهيّة التي تجري فينا (الرسالة العامّة للبابا يوحنّا بولس الثاني الكنيسة من الأفخارستيّا،١١ و١٢)؛ في إطار هذا التذكار نذكر كلّ أبناء الكنيسة وبناتها الأحياء والأموات.

إنجيل اليوم ينطبق على الكهنة المقامين في الدرجة المقدّسة وعلى جميع المعمّدين الذين أصبحوا منتمين إلى الكهنوت العامّ، وعلى كُلّ مسؤول في الأسرة والمجتمع والوطن. إنّه إنجيل الأمانة للمسؤوليّة والحكمة في السلطة: "من تراه الوكيل الأمين الحكيم" (لو١٢/٤٢). يأتي كلام الربّ يسوع في معرض الحديث عن السهر لبناء ملكوت الله في مدينة الأرض، وهو ملكوت المحبّة والعدل والخدمة والاخاء: "لا تخف أيّها القطيع الصغير، فقد سُرّ أبوكم أن يعطيكم الملكوت" (لو١٢/٣٢)، ويدعو إلى الاهتمام بشأن هذا الملكوت كغاية، نسعى إليها عبر تأمين حاجات الحياة في هذه الدنيا: "أطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، والباقي يزاد لكم" (لو١٢/٣١).

١. الكاهن

الكاهن في الكنيسة رجل إئتمنه الربّ يسوع على إعلان الانجيل بالكرازة والتعليم (الخدمة النبويّة أوالتعليم)، وعلى توزيع النعمة الالهيّة والحياة الجديدة بالاحتفال بأسرار الخلاص وإحياء العبادة الالهيّة (الخدمة الكهنوتيّة أو التقديس)، وعلى بناء جماعة المحبّة والمصالحة والتضامن (الخدمة الملوكية او التدبير). يؤدّي الكاهن هذه الخدمة المثلثّة بشخص المسيح وباسمه، هو الذي أشركه في كهنوته ووكّله على أسرار الله (١كور٤/١). عليه أن يكون "الوكيل الأمين الحكيم" بوصفه: **وكيلاً** يصنع ما صنع المسيح، ويمارس السلطات نفسها، فهو خادم ليسوع المسيح، وبه ومعه ومن أجله

يصبح خادم الناس". ومطلوب من الوكيل أن يكون **أميناً** لشخص المسيح الذي يمثّله: فبقدر ما يكون الكاهن مرتبطاً بالمسيح يكون قادراً على خدمة الجميع، أي وكيلا حكيماً ينظر من منظار المسيح إلى حاجات الذين أوكلوا إلى خدمته، وهم بنو بيت الله، ليعطيهم في حينه طعام الكلمة والنعمة والمحبّة. الأمانة والحكمة لا تنفصلان عن كيان الكاهن المكرّس للخدمة (مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك: رسالة راعويّة إلى الكهنة، ١٠).

الكهنوت مسؤوليّة يؤدّي عنها الكاهن حساباً أمام الله: "فمن استُودع كثيراً يُطلب منه أكثر ممّا في يده" (لو١٢/٤٨). أمّا إهمال الخدمة فيستوجب القصاص: "أمّا الخادم الذي يعرف مشيئة سيّده، ولم يهيّء له بحسب مشيئته يضرب كثيراً" (لو١٢/٤٧). روح الخدمة الكهنوتيّة **المحبّة الراعويّة**. ليس الكاهن مجرد موظّف، ولا يمكن تقليص خدمته إلى نواحيها الوظيفيّة والطقوسيّة.

إنّ مهمّته الأساسيّة رعاية الايمان في نفوس الناس: يثقف الايمان ويربيّه في المؤمنين بالتعليم والعمل الكرازيّ في رعيّته؛ يزور كأب جميع أبناء رعيّته في بيوتهم، ويلتقيهم في واقع حياتهم الزوجيّة والعائليّة والاجتماعيّة؛ يحيط أسرار الخلاص، ولاسيّما المعموديّة والقربان والزواج، بعمل راعويّ تحضيريّ وتثقيفيّ وأدائيّ يساعد على إدراك معانيها في حياة المؤمنين، فلا يكون السّر مجرّد عادة اجتماعيّة، بل يكون عملاً إيمانيّاً ينال منه المؤمن ثماره الروحيّة.

ويدرك ما للعلمانيين من دور في حياة الكنيسة ورسالتها، فيشجّع ويبارك كلّ المواهب والوظائف التي يوزّعها الروح على المؤمنين لبناء الكنيسة، ويوليهم الثقة الكافية ويحمّلهم المسؤوليّات اللازمة في خدمة

الكنيسة بمقدار ما عندهم من خبرة ومعرفة وغيرة، من خلال المجلس الرعائيّ والهيكليّات القانونيّة والمنظّمات الرسوليّة، تحقيقاً للشركة في الايمان والرسالة.

يعتبر أنّ الفقراء والصغار هم في عهدته بصورة خاصّة، فيحوطهم بالعناية والمحبّة، ويكشف لهم عن قيمة حالتهم في سرّ آلام المسيح، ويعمل جاهداً مع أبناء رعيّته على الاهتمام بهم وتقديم العون الماديّ والروحيّ والمعنويّ لهم واخراجهم من فاقتهم، "هم الذين لبسوا وجه المسيح وأضحوا أحبّاء الله"؛ يعتبر نفسه خادماً لجميع الناس ولكلّ إنسان في رعيته، أيّاً كان دينه أو طائفته أو انتماءاته الاجتماعيّة أو السياسيّة، ذلك أنّ محبة الله ترسله إلى كلّ من يلتقيه من خلال يومه وعمله، ليكون أداة نعمة الله للجميع؛ يجتهد في بناء السلام والاستقرار في محيطه، فخدمته تشمل الشأن العامّ أيضاً في كلّ ما يؤمّن حقوق الإنسان والإستقرار السياسيّ والعدل والسلام.

كلّ هذه المسؤوليّات التي يحملها الكاهن تستمدّ حافزها وقوّتها من **"المحبّة الراعويّة"** على مثال السيّد المسيح، الكاهن الأسمى والراعي الصالح الذي "يبذل حياته في سبيل الخراف" (يو١٠/١١؛ راجع رسالة البطاركة إلى الكهنة،٣٠-٤١).

٢. المعمّدون العلمانيّون

المسيحيّون العائشون في العالم مؤتمنون هم أيضاً على "طعام المسيح كوكلاء يعطونه لبني بيت الله": فبفضل المعموديّة اتّحدوا بالمسيح وأقيموا شعباً لله، وجُعلوا شركاء في وظائف المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة **(هويّة الوكيل)**، دعوا، حسب حالة كلّ واحد منهم، لقبول الكلمة والنعمة والمحبّة، والشهادة لها في محيطهم بالمسلك والقول والمبادرات؛ وهي

رسالة أسندها الله إلى الكنيسة لاتمامها في العالم (**خدمة الوكيل**). من هذه الهويّة والخدمة تتحدّر حقوق وواجبات، تشكّل مسؤوليّة المؤمنين المسيحيين العائشين في العالم، يمارسونها في الكنيسة-السرّ، والكنيسة-الشركة، والكنيسة-الرسالة.

أ- **في الكنيسة – السرّ**، لهم **حقّ** الاتّحاد بالله، وعليهم **واجب** السعي إلى هذا الاتّحاد وعيشه من خلال سماع كلام الله وحفظ وصاياه، والمصالحة معه بتوبة القلب، والاغتذاء بجسد الربّ ودمه، والصلاة الشخصيّة والجماعيّة. هذا على صعيد الهويّة والكيان. أمّا على صعيد الرسالة، فالواجب هو المساهمة في بناء الكنيسة، جسد المسيح السريّ، من خلال سعيهم إلى الكمال المسيحيّ ليبلغوا مقدار قامة المسيح (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٠٤٥).

ب- **في الكنيسة – الشركة**، لهم **الحقّ** في الانتماء الكامل إليها، وعليهم **واجب** المحافظة على الشركة بالمسلك الملائم للحالة المسيحيّة من خلال معرفة العقيدة، والعيش الخلقيّ بموجب حقائق الايمان، بطرح السؤال الدائم: بماذا أؤمن؟ وماذا يجب أن أعمل؟

ج- **في الكنيسة – الرسالة**، لهم **الحقّ** وعليهم الواجب بالمشاركة في رسالة الخلاص، والقيام بها تجاه جميع الناس من كلّ زمان ومكان. هو **حقّ** أولاهم إيّاه الربّ يسوع بحكم مسحة المعموديّة، لا ينتزعه منهم أحد، **وواجب** ملزمون به لا يمكنهم التخلّي عنه (راجع القوانين ١٢، ١٣، ١٤، ٤٠٦).

إنّ المسيحيين العائشين في العالم **موكّلون هم أيضاً**، بحكم اندماجهم في الكهنوت العامّ، على الرسالة المنوطة بكلّ الشعب المسيحيّ، وهي أن

يبثّوا الروح الانجيليّة في النظام الزمنيّ أي في النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ والتشريعيّ والاداريّ والثقافيّ، كما وفي الحياة الزوجيّة والعائليّة وتربيّة الأولاد. وبهذا يؤدّون خدمة حقيقيّة للانسان والمجتمع الوطنيّ (الدستور العقائديّ في الكنيسة،٣١؛ رجاء جديد للبنان، ١١٢). **عليهم أن يتّصفوا بالأمانة والحكمة**، لكونهم "في الخطّ الأماميّ من حياة الكنيسة، التي تصبح بواسطتهم العنصر الحيويّ في بنية المجتمع البشريّ. وبالتالي لا ينتسبون فقط إلى الكنيسة، بل هم الكنيسة (البابا بيّوس الثاني عشر، راجع العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٩).

٣. رجال السياسة: خدمة الخير العامّ وقضيّة السلام

رجال السياسة هم الوكلاء بامتياز، الذين أوكل الله إليهم أن يعطوا "الطعام لبني بيته"، على المستوى الزمنيّ.

إنّهم وكلاء الله، "لأنْ لا سلطة إلاّ من الله. والسلطات القائمة، هو الذي وضعها لخدمة الخير" (روم ١٣/١-٣). ولكنْ إذا تجاوزت السلطة السياسيّة حدودها، وانتهجت سياسة الظلم والكيد والاستبداد والتسلّط والاستضعاف وتغليب المصالح الخاصّة على الصالح العامّ، فيحقّ للمواطن **اعتراض الضمير**، لأنّ "الطاعة للّه أولى من الطاعة للناس" (أعمال ٥/ ٢٩).

الطعام المؤتمنون عليه هو الخير العامّ الذي من أجله وُجدت السلطة السياسيّة، وهو مبرّر وجودها. إنّه يشمل مجمل الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والوطنّة والخلقيّة التي تمكّن الناس والعائلات والمجموعات من تحقيق ذواتهم تحقيقاً أكمل (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٤). وتؤمّن هذه الأوضاع من خلال مهامّ ثلاث: **تنظيم الحياة العامّة** في مقتضياتها اليوميّة في خدمة العدالة التي تخلق أوضاع مساواة وتكافؤ فرص

بين المواطنين، وتعمل على ألاّ يصبح الأغنياء أكثر غنى والفقراء أكثر فقراً؛ وفي تعزيز التضامن الذي ينتصر على أنانيّة الأشخاص والدول (البابا يوحنّا بولس الثاني، خطاب إلى البرلمانيين ورؤساء الحكومات، ١٠/١١/٢٠٠٠). **وتنظيم الدولة: داخياً**، بحسن الادارة وتنقيتها من الفساد ووضع المخطّطات في ميادين الاقتصاد والاجتماع والتشريع والثقافة الرامية إلى تأمين حقوق المواطنين الأساسيّة، **وخارجياً** بإبرام اتفاقات مع الدول توفّر مصالح البلاد وشعبها. **وتعزيز محبّة الوطن** بالمحافظة على قيمه وتراثه وكرامة شعبه، وعلى سيادته واستقلاله وحريّة قراره، وبتحقيق آمال ابنائه وتطلّعاتهم وإزالة هواجسهم ودرئهم ممّا يتهدّدهم من أخطار.

يخون رجال السياسة وكالتهم، واللهُ سيّدُهم، كلّ مرّة يجعلون السياسة، هذا الفنَّ الشريف، مجرّدَ وسيلة لتأمين المصالح الخاصّة على حساب الصالح العامّ، ولبلوغ غايات انتخابية وكسب الأنصار والاحتفاظ بالسلطة واختلاس أموال الدولة، وما هو أسوأ (المرجع نفسه، ٤).

إنّ وكالتهم معطاة لهم من السيّد المسيح **"امير السلام"** (أشعيا٩/٦)، لكي يخدموا قضيّة السلام من خلال توجيه أفكارهم وعنايتهم وقواهم لتعزيز الخير العامّ للجميع. فبدونه يكون السلام كلمة جوفاء. ولا سلام يبلغ إليه العمل السياسيّ ما لم يكن مؤسّساً على **الحقيقة**، ومستنيراً بمبادىء **العدالة**، ومنطقيّاً بروح **المحبّة**، ومتمّماً **بحريّة** (البابا يوحنّا الثالث والعشرون: السلام على الأرض، ١٦٧).

■ ثانياً، ختام أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيين

في هذا الأسبوع يقع عيد **ارتداد بولس الرسول** (٢٥ كانون الثاني)، وفيه اختتام أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيين.

كان ارتداد شاول إلى المسيحيّة سنة ٤٣ عندما أبرق حوله نور من السماء أسقطه أرضاً، وسمع صوتاً يقول له: شاول شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال له: من أنت؟ فأجاب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، وكان شاول متوجّهاً إلى دمشق ليسوق موثوقين إلى أورشليم أتباع يسوع المسيح. فتحوّل شاول من مضطهد للكنيسة إلى بولس رسول يسوع المسيح (أعمال الرسل ٩/١-٢٢).

بدأ **أسبوع الصلاة** من أجل وحدة المسيحيين في الثلاثينات من القرن الماضي، أي منذ سبعين سنة، مع الأب بول Couturier الفرنسيّ في ليون، بنتيجة الحوار المسكونيّ الذي قاده الكردينال Mercier رئيس أساقفة Malines-Bruxelles، وبتشجيع من البابا بيوّس الحادي عشر. من أجل وحدة المسيحيين، ترك الكردينال Mercier هذه الوصيّة الروحيّة التي تبقى الأساسَ للصلاة والعمل المسكونيّ: "لكي نتوحّد يجب أن نتحابّ، ولكي نتحابّ يجب أن نتعارف، ولكي نتعارف يجب أن نذهب الواحدُ إلى ملاقاة الآخر".

تجدر الاشارة إلى أنّ مبادرة الصلاة من أجل وحدة المسيحيين بدأها سنة ١٩٠٨، في عهد البابا بيوس العاشر، أبوان من الكنيسة الأنغليكانيّة، هما سبنسر جونس ولوي-بول واتسون.

في سنة ١٩٤٨ أُنشيء **مجلس الكنائس العالميّ** في أمستردام. وسنة ١٩٦٠ أسّس البابا يوحنّا الثالث والعشرون أمانة سرّ وحدة المسيحيين في الكوريا الرومانيّة. وفي سنة ١٩٦١ شارك **أوّل مراقبين كاثوليك** في أعمال مجمع الكنائس العالميّ في اجتماع نيو دلهي. وجاءت وثيقة المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني "القرار في الحركة المسكونيّة" في ٢١ تشرين

الثاني ١٩٦٤، الذي استهلّ بهذه الكلمات: "إنّ العمل على إعادة الوحدة بين جميع المسيحيين هو إحدى الغايات الرئيسيّة للمجمع المقدّس المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني. وفي ٢٥ اذار ١٩٩٣ أصدر المجلس الحبريّ لتعزيز وحدة المسيحيين "الدليل لتطبيق المبادىء والقواعد حول الحركة المسكونيّة"، وهو معروف "**بالدليل المسكونيّ**" الذي وُضع نصّه الأوّل سنة ١٩٧٠، وأعيد النظر فيه بعد صدور مجلّة الحقّ القانونيّ للكنيسة اللاتينيّة (١٩٨٣)، ومجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة (١٩٩٠)، وكتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة (١٩٩٢).

نشكر الله على ما تمَّ إنجازه بشأن الحوار اللاهوتيّ المسكونيّ على مستوى الشرق الأوسط، فنذكر:

١٩٧١: الإتّفاق الكريستولوجيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيّة، الذي وقّعه البابا بولس السادس والبطريرك مار اغناطيوس يعقوب الثالث. ثمّ توسّع فيه سنة ١٩٨٤ البابا يوحنّا بولس الثاني والبطريرك مار أغناطيوس زكّا الأوّل عيواص.

١٩٧٣: الحوار اللاهوتيّ الرسميّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة بعد زيارة البابا شنوده الثالث للفاتيكان.

١٩٩٣: وثيقة اللجنة المشتركة الدوليّة للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة الروم الأرثوذكسيّة في ختام اجتماع دير البلمند. وفيها مبادىء إكليزيولوجيّة وقواعد راعويّة.

١٩٩٤: الاعلان الكريستولوجيّ المشترك بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأشوريّة الموقّع من البابا يوحنا بولس الثاني والبطريرك مار دنخا الرابع.

١٩٩٦: الاعلان المشترك بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة، الموقّع من البابا يوحنّا بولس الثاني والكاثوليكوس كاريكين الأوّل.

ولا بدّ من التنويه بالحوار الجاري في إطار مجلس كنائس الشرق الأوسط، وقد وضعت دراسات وأبحاث حول أربعة مواضيع: لغة عربيّة مشتركة لسرّي الثالوث الأقدس والتجسّد؛ انبثاق الروح القدس من الآب والابن؛ قانون الايمان النيقاويّ-القسطنطينيّ؛ والنصّ الموحّد للصلاة الربيّة "الأبانا".

■ ثالثاً، الخطة الراعوية

تواصل الخطّة الراعويّة في هذا الأسبوع التفكير معاً حول ما جاء في النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**، وبوجه التحديد العنصر الخامس المكّون للهويّة وهو أنّ الكنيسة المارونيّة في **شركة تامّة مع الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ**.

١. الكنيسة المارونيّة منذ نشأتها "جماعة خلقيدونيّة"، ومنذ تكوينها كنيسة بطريركيّة في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن، كانت **متّحدة اتّحاداً تامّاً بكرسي روما** حول شخص خليفة بطرس ونائب السيّد المسيح. وحافظت على هذا التقليد حتّى يومنا، بفضل استقلاليّتها وابتعادها عن النزاعات اللاهوتيّة بين اللاتين واليونان حول طبيعة الكنيسة وبنيتها التي أدّت إلى الانشقاق الكبير سنة ١٠٥٤، وبفضل إيمانها بسرّ التجسّد وفق الصيغة الخلقيدونيّة (فقرة ٢٩).

تسعى **الخطّة الراعويّة** إلى إيقاظ الوعي لما للكنيسة المارونيّة من دور

مسكونيّ، بحكم حالة الشركة مع الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ والتراث الأنطاكيّ المشترك، في سبيل استعادة الوحدة في الكنيسة الجامعة من خلال الشركة التامّة بين الكنائس (فقرة ٣٠). وتفكّر الجماعات الرعويّة في مبادرات لتنشيط العمل المسكونيّ على مستوى الصلاة معاً إفرادياً وعمومياً، والتعارف، والشهادة للإيمان المسيحيّ، والتعاون في الحقل الاجتماعيّ والانمائيّ والثقافيّ والخلقيّ (راجع القرار في الحركة المسكونية، ١٢؛ والدليل المسكوني، ٥).

٢. كان للشركة التامّة بين الكنيسة المارونيّة والكنيسة الرومانيّة آثار إيجابيّة مهمّة، ساعدتها على تأدية رسالتها في محيطها بحيويّة وفعاليّة. تسعى الخطّة الراعويّة إلى اكتشاف هذه الآثار في ضوء النصّ المجمعيّ:

أ- الانفتاح على الغرب والافادة من مقدراته العلميّة والفكريّة منذ تأسيس مدرسة روما سنة ١٥٨٤، لتعريف الغرب على الشرق، ولتعزيز النهضة الثقافيّة في الشرق.

ب- بلورة هويّة لبنان الفريدة القائمة على التعدّديّة الثقافيّة (فقرة ٣١).

ج- الاستفادة من المجمع الفاتيكانيّ الثاني، الذي يشكّل ربيع الكنيسة، لإطلاق **ورشة التّجديد** في كنيستنا على مختلف الأصعدة. وقد ساعد عليها بالأكثر السينودس من أجل لبنان في الإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان"، والمجمع البطريركيّ المارونيّ (فقرة ٣٣).

تقتضي **الخطّة الراعويّة**، في ضوء هذه الأحداث الكنسيّة الثلاثة، رسم خطة لرسالة كنيستنا في لبنان، والعالم العربيّ، مع تحديد تطلّعاتها.

د- ولما كان المجمع الفاتيكاني الثاني قد تعمّق في **المفهوم اللاهوتيّ للكنيسة-الشركة**، مستعيداً التقليد البيبليّ والآبائيّ المشترك بين الشرق والغرب في الألفيّة الأولى، تقتضي **الخطّة الراعويّة** تعزيز الحوار والتعاون بين الكنائس الكاثوليكيّة ومع الكرسيّ الرسولي من أجل خدمة رسوليّة أشمل وأنجح (الفقرة ٣٤).

***

صلاة

نصلّي مع الربّ يسوع:

"أيّها الآب القدّوس، إنّ الذين وهبتهم لي، قد وهبتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ، ليكونوا كاملين لواحد، ليعلم العالم أنّك أنت أرسلتني، وأنّك أحببتهم كما أحببتني. أيّها الآب أريد أن يكون الذين وهبتهم لي هم أيضاً معي، حيث أكون ليشاهدوا مجدي الذي وهبتنيه. لقد عرّفتهم اسمك وسأعرّفهم أيضاً، حتى أن ذاك الحبّ الذي أحببتنيه يكون فيهم، وأكون أنا فيهم. آمين (يوحنّا ١٧).

أحد الأبرار والصدّيقين

إنجيل المحبّة والسلام ورسالة العائلة

من إنجيل القدّيس متّى ٢٥/٣١-٤٦

قال الربّ يسوع: "متى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة معه، يجلس على عرش مجده. وتجمع لديه جميع الأمم، فيميّز بعضهم عن بعض، كما يميّز الراعي الخراف من الجداء. ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله. حينئذ يقول الملك للّذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ إنشاء العالم؛ لأني جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني، وكنت غريباً فآويتموني، وعرياناً فكسوتموني، ومريضاً فزرتموني، ومحبوساً فأتيتم إلي. حينئذ يجيبه الأبرار قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحقّ أقول لكم: كلّ ما عملتموه لأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فلي عملتموه! ثمّ يقول للّذين عن شماله: إذهبوا عنّي يا ملاعين، إلى النار الأبديّة المعدّة لإبليس وجنوده؛ لأنّي جعت فما أطعمتموني، وعطشت فما سقيتموني، وكنت غريباً فما آويتموني، وعرياناً فما كسوتموني، ومريضاً ومحبوساً فما زرتموني! حينئذ يجيبه هؤلاء أيضاً قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعاً أو عطشان أو غريباً أو مريضاً أو محبوساً وما خدمناك؟ حينئذ يجيبهم قائلاً: الحقّ أقول لكم: كلّ ما لم تعملوه لأحد هؤلاء الصّغار، فلي لم تعملوه. ويذهب هؤلاء إلى العذاب الأبديّ، والأبرار إلى الحياة الأبديّة".

***

في تذكار الأبرار والصدّيقين تقرأ الكنيسة إنجيل "**المحبّة والسلام** الذي عاشوه، والذي سندان عليه. ولهذا سُمّوا أبراراً وصدّيقين لأنّهم ينعمون بمشاهدة وجه الله، الذي هو محبّة، في مجد السماء، ومن بينهم من رفعتهم الكنيسة على المذابح مثل القدّيس شربل والقدّيسة رفقا والطوباويّ نعمة الله. ونأمل أن يُرفع على المذابح أيضاً المكرّم الأب يعقوب حدّاد الكبوشي، وخادم الله البطريرك اسطفان الدّويهي، والأخ اسطفان نعمه من الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، الذين تجري دعاوى تطويبهم حاليّاً لدى الكرسي الرسوليّ في روما.

■ أوّلاً، شرح النصّ الإنجيليّ

١. في المحتاج يتجلّى وجه المسيح

يستعمل الربّ يسوع صيغة المتكلّم ليقول: "كنت جائعاً، عطشاناً، غريباً، عرياناً، مريضاً، محبوساً... فكلّ ما صنعتموه إلى أحد إخوتي هؤلاء الصّغار فإليّ صنعتموه" (متّى ٢٥/٣٥-٣٦، ٤٠). إنّه يتماهى مع كلّ محتاج ماديّاً وروحيّاً ومعنويّاً، في الحالات الستّ المذكورة. كلّها تقتضي منّا مواقف **محبّة وخدمة**: نحبّهم ونخدمهم **إذا كانت فينا محبّة الله**، ذلك أنّ "المحبة هي من الله. فمن يحبّ هو مولود من الله، ومن لا يحبّ لا يعرف الله" (١يو ٤/٧-٨). نحبّهم ونخدمهم **إذا كان فينا إيمان ملتزم بالأعمال**: "إذا كان أخ أو أخت عريانين، وليس لهما قوت يوم، وقال لهما أحدكم: "إذهبا بسلام واستدفئا واشبعا"، ولم تعطوهما حاجة الجسد، فماذا انتفعا؟ كذلك الإيمان وحده، بدون أعمال، ميت" (يعقوب ٢/١٥-١٧).

محبّة الله تدفع إلى الخدمة وتولّد السلام في قلب الإنسان، أيّاً كان، لاعتباره في كرامته كشخص وابن مخلوق على صورة الله. المحبّة تتجاوز

أفق الأخوّة في الإيمان، لأنّ "كلّ إنسان هو أخي"، وبخاصّة من كان فقيراً، ضعيفاً، متألماً، مظلوماً، فتعرف المحبّة أن تكتشف فيه وجه المسيح ووجه الأخ وتحبّه (في وظائف العائلة المسيحية، ٦٤). هذه الصّفحة الإنجيليّة هي **إنجيل الشركة** (المحبة) **والتّقاسم** (الخدمة). مع **الغريب والمريض والسجين** ندخل في **شركة** شخصيّة، قائمة على الاستضافة والزيارة والحوار، مع ما يرافقها من مشاعر إنسانية وعلاقة مودة واحترام وتفهّم وإصغاء. أمّا **الجائع والعطشان والعريان: فنتقاسم معه** ما لدينا من خيرات ومواهب وإمكانيّات، "لأنّ خيرات الأرض معدّة لجميع الناس".

الشركة والتقاسم، في هذا المفهوم، يسمّيان "**المسألة الاجتماعيّة**" الهادفة إلى **إنماء الإنسان والمجتمع**، إنماءً أصيلاً يحترم الشخص البشريّ ويعزّزه في كلّ حالاته الاجتماعيّة والاقتصاديّة كجائع وعطشان وعريان ومريض، وفي حالاته الروحيّة والثقافيّة والإنسانيّة كغريب وسجين (البابا يوحنّا بولس الثاني: في الشأن الاجتماعيّ، ١و٣٤). هذا الانماء الأصيل والشّامل هو الاسم الجديد للسلام (البابا بولس السادس: "ترقي الشعوب"، فقرة ٨٧).

والمسألة الاجتماعيّة **قضيّة خلقيّة** تلزم الضمير الذي هو مصدر كلّ قرار. إنّها موجب خلقيّ يطاول القرارات الشخصيّة والقرارات الحكوميّة، وهي **واجب تضامن** يعني "الشعور بالمسؤوليّة تجاه الأكثر ضعفاً والاستعداد لمقاسمتهم ما نملك، لا مجرد شعور بالشفقة سطحي وعابر، بل يعني قراراً حازماً وثابتاً بالعمل من أجل الخير العامّ الذي هو خير الجميع وخير كلّ واحد، ذلك أنّنا كلّنا مسؤولون عن كلّنا" (الاهتمام بالشأن الاجتماعي، ٣٨). التّضامن يساعدنا على **رؤية الآخر**، شخصاً كان أم شعباً أم أمّة، لا كأداة أو سلعة تُستعمل بل "كشبيه بنا وعون لنا" (تكوين ٢/١٨ و٢٠)، فلا استغلال ولا استضعاف ولا تدمير.

والتضامن **فضيلة مسيحيّة** مصدرها الحبّ الذي يميّز تلاميذ المسيح (يو١٣/٣٥). إنها تتخطّى الذّات وترى في الإنسان ليس فقط كائناً بشريّاً له حقوقه ومساواته الأساسيّة، بل صورة الله الحيّة، المفتداة بدم المسيح، والمقدّسة بالروح القدس، ولهذا يُحبّ ولو كان عدوّاً (الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ، ٤٠)، كما **السلام هو ثمرة العدالة** (أشعيا ٣٢/١٧) وثمرة الإنماء (البابا بولس السادس)، كذلك هو **ثمرة التّضامن** (البابا يوحنّا بولس الثاني، المرجع نفسه، ٣٩).

على العدالة الاجتماعيّة وإنماء الإنسان والمجتمع والتّضامن مع الأكثر ضعفاً وحاجة، سندان، في ضوء إنجيل اليوم: "كلّ ما لم تصنعوه لإخوتي هؤلاء الصّغار فلي لم تفعلوه، فاذهبوا عنّي يا ملاعين" (متّى ٢٥/٤٠-٤١).

٢. العائلة ضحية اساسية

"للجوع والعطش والعري والغربة والمرض والسجن" **ضحيّة واحدة أساسيّة هي العائلة**، لأنّ بإصابة أعضائها تصاب هي. ومتى أصيبت العائلة يصاب المجتمع والوطن، وتصاب الكنيسة.

العائلة هي خليّة المجتمع القائم على الشركة بين الأشخاص وتقاسم الخيرات، وفيها يختبر الفرد الشّركة والتقاسم ويتدرّب عليها، وتلعب العائلة دوراً كبير الأهميّة في الحياة الاقتصاديّة. بما أنّ الانسان فرد حيّ في المجتمع، نستطيع القول أنّ الإنسان "عائلة": يولد في عائلة، يؤسّس عائلة، يستهلك في عائلة. لذلك لا يجوز إنكار البعد الإجتماعيّ وتعظيم الفرد، ولا التّركيز على المجتمع وسحق الشخص. في كلا الحالين تبقى الأسرة هي إيّاها الضحيّة. **ينبغي أن يكون الاقتصاد عائليّاً**. أعني أن تكون غايته خير العائلات وازدهارها وسلامها. إنّ مجتمعاً بدون عائلة محكوم عليه بالموت. فالعائلة، بحكم تأسيسها، تسبق كلّ مجتمع وكلّ عمل اقتصادي. وهذا البعد

الاجتماعيّ-الاقتصاديّ للعائلة شكلّ موضوع اللقاء العالميّ الثّالث للعائلات في ريودي جنيرو سنة ١٩٩٧، وكان بعنوان: "**العائلة بشرى سارّة للألفيّة الثالثة**". في التوصيات الختاميّة لهذا المؤتمر تبيّنت العائلة أنّها بشرى سارّة **للحياة،** تحميها وتعزّزها منذ اللحظة الأولى للحبل بها وحتّى آخر نسمة منها؛ وإنّها بشرى سارّة **للفقراء** بتثمير قدرات الأرض لعيشهم الكريم لا بالحدّ من النسل عبر الاجهاض والتعقيم ووسائل منع الحبل؛ وإنّها بشرى سارّة **للشبيبة** بتعزيز حاضرها وضمانة مستقبلها كقوى حيّة وتجدّديّة في المجتمع والوطن والكنيسة، فهي "إكليل الزواج" وخميرة البشريّة، فلا تُهمل؛ وإنّها بشرى سارّة **للعالم** تحمل إليه إنجيل الحبّ والحياة، وتبني جماعة الوحدة والسّلام، وتطبعه بثقافة المسامحة والتّضامن؛ وإنّها بشرى سارّة **للكنيسة،** لأنّها "الكنيسة البيتيّة" الأولى التي تتلقّى الإنجيل وتعلنه، وفيها تبدأ شركة الأشخاص مع الله وفيما بينهم بالصّلاة والحوار، وفيها يتمّ تقاسم الخيرات والمواهب.

إنّ الفساد المستشري في لبنان على صعيد السّياسة والإدارة والرّقابة والقضاء والانتخابات النيابيّة، وهذا الإمعان في تسخير المؤسّسات والشّأن العامّ للمصالح الفرديّة والفئويّة وما يخلف كلّ ذلك من أزمات إقتصاديّة واجتماعيّة تولّد البطالة والهجرة والانحرافات الخلقيّة، إنّما يضرب العائلة في صميمها. وباتوا يتحدّثون عن "**ثقافة الفساد في لبنان**" (مقال للدكتور سليم الحصّ في النهار ٤ شباط ٢٠٠٣). هذا أمر مخزٍ وجرم كبير بحق العائلة، لا يجوز أن يتمادى فيه المسؤولون أو يتغاضوا عنه، وإلاّ زادوا من عدد الجائعين والعطشى والفقراء والمرضى والغرباء في أرضهم والمحرومين والمساجين.

العائلة وحدها حفظت لبنان عندما تفكّكت الدّولة وتشرّد المجتمع

بالتهجير. **والعائلة وحدها كفيلة**، إذا حافظت على هويّتها وأدّت رسالتها كبشرى سارّة، بأن تعيد بناء الأسرة الوطنيّة اللبنانيّة. هذا يقتضي تنشئة لها من الكنيسة، وحماية من الدولة، والتزاماً من قبلها بالصلاة لتعيش ما يجب أن تكون.

٣. إنجيل السلام

إنجيل الدينونة يؤكّد أنّنا سنُدان في الآخرة على السّلام الذي وطّدناه أو لم نوطّده في إخوتنا الصغار: الجائع والعطشان والغريب والعريان والمريض والسجين. ذلك أنّنا، عندما نعتني بهم مادياً أو روحيّاً أو معنويّاً ونلبّي حاجاتهم، إنّما نضع السلام في قلوبهم، ونرمّم روابط الأخوّة معهم، ونصبح أبناء الله حقاً، على ما يقول الرب يسوع في إنجيل التطويبات، دستور الحياة البشريّة: "طوبى لفاعلي السلام، فإنّهم أبناء الله يُدعون" (متّى ٥/٩).

السلام ثمرة العدالة. والعدالة تقتضي أن نعطي هؤلاء "الاخوة الصّغار" حقوقهم. ليست محبّتهم شأناً اختياريّاً بل هي واجب، إذ عليك أن تعطيهم حقوقهم، وإلاّ قتلتهم.

يذكّرنا البابا الطوباويّ يوحنّا الثالثّ والعشرون، في رسالته العامّة "السلام على الأرض"، بأنّ السلام الحقيقيّ هو القائم على نظام إلهيّ، وضعه الله لخلقه وكتبه في طبيعة الإنسان، وأنّ الشخص البشريّ هو في أساس هذا النّظام (فقرة ١).

نقرأ في هذه الرّسالة "إنّ كلّ إنسان هو شخص، أي ذو طبيعة مزيّنة بالعقل والإرادة الحرّة. ولذا، هو صاحب **حقوق وواجبات** تنبع مباشرة من صميم طبيعته، ولا تقبل أيّ تنازل عنها" (فقرة ٩). ما هو حقّ لي هو واجب

عليك. وما هو حقّ لك هو واجب عليّ. إنجيل الدينونة يكشف حقوق إخوتنا الصغار وواجباتنا تجاههم. هذه الحقوق النّابعة من صميم طبيعتهم وحالة جوعهم وعطشهم وغربتهم وعريهم ومرضهم وأسرهم، هي الحقوق الأساسية التي تسردها الرسالة البابويّة "السلام على الأرض".

للإنسان الحقّ في الحياة وفي السّلامة الجسديّة، وفي أسباب المعيشة اللائقة، ومنها المأكل والملبس والسّكن والرّاحة والعناية الطبيّة، والخدمات الاجتماعيّة الضروريّة المستوجبة للفرد من الدولة. وبناء عليه، فإنّ **للانسان الحقّ** في التمتّع بالعون في حال المرض أو الإعاقة أو العجز أو الترمّل أو الشيخوخة أو البطالة، أو في حال أي افتقار آخر إلى الأسباب الضروريّة في ظروف خارجة عن إرادته (فقرة ١١).

إعطاء الانسان حقوقه واجب تمليه العدالة وتحرّكه المحبة، فيرسي السلام في داخل الإنسان، ويوطّد السلام الاجتماعيّ. على هذا سنُدان.

■ ثانياً، أبرار عاشوا إنجيل المحبّة والعدالة والسلام

نذكر وجهاً مشرقاً من لبنان هو المكرّم **الأب يعقوب حدّاد الكبّوشي** (أوّل شباط ١٨٧٥-٢٦ حزيران ١٩٥٤) مؤسّس جمعيّة راهبات الصّليب الفرنسيسكانيّات. سلك طريق القداسة على خطى شفيعه القدّيس فرنسيس الأسّيزي، رسولاً للمحبّة على كلّ جبهاتها، مواجهاً آلام الناس الحسيّة والنفسيّة والمعنويّة، مكرّساً كلّ وقته وطاقاته ومواهبه وعلمه وديناميّته الراعويّة للتخفيف من أوجاع الأجساد والنّفوس. اليوم، وقد أصبحت دعوى تطويبه في مرحلتها الأخيرة، مرحلة درس الأعاجيب، نصلّي لكي يتمجّد الله برفعه قدّيساً على مذابح الكنيسة.

بعد نشاط واسع في الرهبنة الكبوشيّة، انطلق إلى رسالة خدمة المحبّة

والرّحمة على تلّة الصّليب في جلّ الديب، حيث رفع الصليب كأساس لهذه الرّسالة الاجتماعيّة والكنسية والراعويّة العظيمة، ووضع الحجر الأساس سنة ١٩٢١، وبنى مزار سيّدة البحر. بالاتكال على العناية الإلهيّة باشر أوّلاً خدمة الكهنة العجزة في دير الصليب سنة ١٩٢٦. وبموهبة خاصّة من الروح القدس أسّس جمعيّة راهبات الصليب ١٩٣٠، ليتمكّن من خدمة "الاخوة الصغار" في تنوّع حاجاتهم. فأنشأ في حياته العديد من المؤسّسات. وأكملت الجمعيّة من بعده إنشاء مؤسّسات أخرى على مختلف الأصعدة.

- **الاستشفاء** من الأمراض الجسديّة والعقليّة والعصبيّة ومن الاعاقات: مستشفى دير القمر للبنات المعوقات ١٩٣٣، مستشفى السيّدة انطلياس للعجزة والأمراض المزمنة ١٩٤٦، مستشفى الدوره ١٩٤٨، مستشفى الصليب للأمراض العقليّة والأطفال والأولاد المعوّقين ١٩٥١، دار المسيح الملك للكهنة المرضى والمسنّين ١٩٥٢، بيت سلطانة الحبل بلا دنس للبنات المعوّقات في اجدبرا ١٩٧٧، دير سيّدة الزروع للمسنّين في شليفا ١٩٨٩، مؤسّسة للمعوّقين في حلبا ١٩٩٢، بيت العناية الإنسانيّة للعجزة في الاردن ١٩٩٥.

- **التعليم والتّربية** في المدارس ودور الأيتام: مدرسة مار فرنسيس جلّ الديب ١٩١٩، التي أصبحت في مكان آخر من جلّ الديب مدرسة فال بيرجاك ١٩٧٩، مدرسة راهبات الصّليب برمانا ١٩٥٠، مدرسة راهبات الصّليب حراجل ١٩٥٧، ثانويّة مار فرنسيس غزير ٢٠٠٣.

- **الرسالة والخدمة الراعويّة**: بيت مار مخايل-بشعله ١٩٧٧، مركز سيّدة البير للرياضات، بيت سيّدة الورديّة للرسالات-حلبا ١٩٩٢، بيت بتدّين اللقش- جزّين ١٩٩٥، بيت مار الياس-كفرتيه ١٩٩٩.

- **التنشئة الرهبانيّة:** دير سيّدة البير في بقنّايا للمبتدئات والراهبات الناذرات ١٩٤١؛ دير الرئاسة العامة في بقنّايا، الوكالة الرهبانيّة في روما ١٩٧٦.

- **خدمات كنسيّة واستشفائيّة واجتماعيّة** في مؤسّسات خاصّة: السفارة البابويّة في لبنان ١٩٤٣، السفارة البابويّة في سوريا ١٩٧٤، ميتم زغرتا ١٩٧٥، بيت الكهنة للعجزة في المعادي، مصر ١٩٨٨، ميتم الفرنسيسكان في القدس ١٩٩٣، دير القدّيسة لوسيّا في الاسكندريّة، مصر ١٩٩٦.

تعدّ جمعيّة الراهبات حاليّاً ٢٤٤ راهبة، و٢٠١٠ موظّفين وتشمل خدمتهم حسب أمكنة المؤسّسات: ١٥٣٠ مريضاً ومعاقاً،٧٠٠ عجوز،١٧٠ حالة اجتماعيّة، ٣٠٠ مريض، ٣٢٠٠ تلميذ.

سرّ **الأب يعقوب حداد الكبوّشي**، المعروف "بأبونا يعقوب" سرّ حبّة الخردل، وهي أصغر الحبوب، التي تصبح شجرة كبيرة تعشعش فيها طيور السماء. بها يشبّه الربّ يسوع ملكوت السماء.

إنّه رجل الصليب ورسوله وحبيبه. إنّه قلب ملتهب حبّاً بالصّليب، وعطوف على تعساء الأرض وحنون على الخطأة، وشامل بؤس الانسانيّة جمعاء فوق فوارق الدّين والجنس والانتماء. شعاره: "لنتشبّه بالينبوع. إنّه لا يسأل العطشان: قل لي قبل أن أسقيك من أيّ بلد أنت؟".

إنّه رجل الرجاء بالله، لا ينتظر أيّة مكافأة على الأرض، لأنّ الله وحده يكفيه. وكان يردّد: "كلّ ما تزرعه على الأرض، تحصده في الأبديّة".

إنّه رجل الإيمان، سعى، في مؤسّساته ونشاطاته الروحيّة وتنقّلاته الرسوليّة، إلى تعزيز الإيمان في القلوب، وبخاصّة بواسطة العائلة، وشهود

الإيمان العلمانيّين الذين يعيشون الإنجيل بالتزام، ولاسيّما بواسطة رهبنة مار فرنسيس الثالثة. وكان يقول بمرارة ومسؤوليّة: "لبنان المزروع بألوف القصور، يزداد جمالاً في الظاهر، أمّا نفوس سكّانه فتفقد إيمان أجدادها أكثر فأكثر. فيجب تخليص الإيمان المهدّد".

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

إنّ الخطة الراعويّة، عبر الهيكليّات في الرعايا والمنظّمات والحركات والمجالس واللجان، وعبر العائلة والمدرسة والجماعة الديريّة، والنّوادي، تواصل التّفكير معاً في مضمون النصّ المجمعيّ المارونيّ الثّاني، وعنوانُه: "**هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**"، وتتوقّف بوجه التّحديد عند العنصر السّادس المكوّن لهويّتها، أعني: **إنّها كنيسة متجسّدة في بيئتها اللبنانيّة والمشرقيّة وفي بلاد الانتشار**.

١ . **أن تكون كنيسة متجسّدة في بيئتها**، هذا يعني اثنين: نفح قيم الإنجيل في الثّقافة والحضارة المحليّتين؛ وخدمة تدبير الله الخلاصيّ لكلّ النّاس في الزّمان والمكان (فقرة ٣٦).

الدعوة هي أن تكون الكنيسة حاضرة وفاعلة في بيئتها من خلال أبنائها وبناتها ومؤسّساتها. أمّا الرّسالة فتتمحور حول الإنسان، أيّ إنسان، وتتّجه إلى بناء مجتمع يؤمن بكرامة الإنسان، ويحفظ حقّه في الاختلاف الدينيّ والثقافيّ للشّهادة على الحريّة، ويصون حقوقه السياسيّة الأساسيّة. تكلّلت هذه المسيرة بإعلان دولة لبنان الكبير سنة ١٩٢٠، الذي أصبح جمهوريّة مستقلّة سنة ١٩٤٣. لم تشأه الكنيسة يوماً "وطناً للمسيحيّين"، بل وطناً لجميع أبنائه، المسيحيّين والمسلمين، على قدم المساواة والاحترام المتبادل.

ترمي **الخطّة الراعويّة** إلى إيجاد المبادرات لتحقيق هويّة لبنان الحقيقيّة التي أطلقها البابا يوحنّا بولس الثاني: "لبنان أكثر من بلد. إنذه رسالة حرّيّة، ونموذج في التعدّدية للشرق كما للغرب" (فقرة ٣٨).

٢. **بحكم كون الكنيسة متجسّدة في بيئتها**، تقتضي الخطّة الراعويّة أن يجدّد الموارنة إيمانهم برسالتهم الكنسيّة النابعة من "تدبير الله الخلاصيّ". فإنّهم مرسلون إلى العالم، مزوّدين بقوّة الروح ليحملوا بشرى الخلاص بيسوع المسيح (فقرة ٣٩). وفي الواقع، هكذا فعلوا عندما أمّوا جبال لبنان مع تلاميذ مار مارون، وفي طليعتهم ابراهيم القورشيّ وسمعان العاموديّ في القرن الخامس (حاشية ٢٤).

تقتضي **الخطّة الراعويّة** أن يواصل الرّهبان والرّاهبات والعلمانيّون أن يواصلوا الشهادة الرساليّة، وإيجاد السّبل لها في الرّعايا وفي أماكن وجودهم (فقرة ٤٠). هذه الشّهادة تعني أنّ كنيستنا ليست من أجل ذاتها، بل تسعى لتكون حاضرة في بيئتها، ومتعاونة مع شركائها في المصير الواحد على إرساء أسس المجتمع التعدّدي، ومساهمةً في ترقّي الشخص البشريّ والمجتمع، من خلال النّشاطات التربويّة والثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والاعلاميّة (فقرة ٤١).

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، أعطنا النّعمة وفضيلة العطاء بسخاء لنساعد "إخوتنا الصغار"، من أيّ لون أو دين أو جنس أو من أيّ انتماء كانوا. ضعنا على طريق الفقراء والضعفاء والمهملين، واجعلنا نشعر بمسؤوليّتنا عنهم،

لاخراجهم من حالة بؤسهم، فندرك في قرارة نفوسنا "أنّ في العطاء فرحاً أكثر ممّا في الأخذ". لك المجد مع أبيك المبارك وروحك الحيّ القدوس إلى الأبد، آمين.

الأحد ١١ شباط ٢٠٠٧

تذكار الموتى المؤمنين

خيرات الأرض معدّة من الله لجميع الناس

من إنجيل القدّيس لوقا ١٦/١٩-٣١

قال الربّ يسوع: "كان رجل غنيٌّ يلبس الأرجوان والكتّان النّاعم، ويتنعّم كلّ يوم بأفخر الولائم. وكان رجل مسكين اسمه لعازر مطروحاً عند بابه، تكسوه القروح. وكان يشتهي أن يشبع من الفتات المتساقط من مائدة الغنيّ، غير أنّ الكلاب كانت تأتي فتلحس قروحه. ومات المسكين فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ثم مات الغنيّ ودفن. ورفع الغنيّ عينيه، وهو في الجحيم يقاسي العذاب، فرأى إبراهيم من بعيد، ولعازر في حضنه. فنادى وقال: يا ابتِ إبراهيم، إرحمني، وأرسل لعازر ليبلّ طرف إصبعه بماء ويبرّد لساني، لأنّي متوجّع في هذا اللّهيب. فقال إبراهيم، يا ابني تذكّر أنّك نلت خيراتك في حياتك، ولعازر نال البلايا. والآن هو يتعزى هنا، وأنت تتوجّع. ومع هذا كلّه، فإنّ بيننا وبينكم هوّة عظيمة ثابتة، حتّى إنّ الذين يريدون أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون، ولا من هناك أن يعبروا إلينا. فقال الغنيّ: أسألك إذاً، يا أبتِ، أن تُرسل لعازر إلى بيت أبي، فإنّ لي خمسة إخوة، ليشهد لهم، كي لا يأتوا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا. فقال إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، فليسمعوا لهم. فقال: لا، يا أبت إبراهيم، ولكن إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له إبراهيم: إن كانوا لا يسمعون لموسى والأنبياء، فإنهم، ولو قام واحد من الأموات، لن يقتنعوا!".

***

تقاسم خيرات الدّنيا هو المحبّة التي سندان عليها، لأنّها طريقنا إلى الله عبر الأخوة الفقراء ماديّاً وروحيّاً وثقافيّاً وإنمائيّاً ، المتمثّلين بلعازر. أمّا الغنى فعطيّة من الله، إذا حصل بالوسائل الشرعيّة والخلقيّة المباحة، والغنيّ هو وكيل الله على ملك هو لله، مطلوب منه أن يتقاسمه مع "الاخوة الصغار" في مفهوم الإنجيل (متى ٢٥/٣٥-٤٠). أمّا الغنيّ المستغني عن الله والاخوة، العابد صنم نفسه، المتمثّل بالغنيّ في النصّ الانجيليّ، فطريقه إلى النّار الأبديّ.

تذكر الكنيسة اليوم، وطوال الأسبوع، الموتى المؤمنين الذين عاشوا فضيلة الفقر الإنجيليّ، وأولئك الذين تقاسموا مع الاخوة المعوزين خيرات الدّنيا المعدّة من الله لجميع الناس. وتصلّي من أجل المعذّبين في المطهر استعداداً لمشاهدة وجه الله في سعادة السماء، وتطلب شفاعة الذين ينعمون بالمجد الأبديّ. وأجلّ صلاة هي تقديم ذبيحة القدّاس من أجلهم، والقيام بأعمال المحبّة والرّحمة، والالتزام بتوبة القلب والأمانة وأفعال التقشّف في سبيلهم.

■ أوّلاً، شرح الإنجيل

١. الدينونة الخاصّة وتقاسم خيرات الدّنيا

على تقاسم خيرات الدّنيا مع الاخوة المعوزين سنُدان.

يؤكّد النصّ الانجيليّ أنّ كلّ إنسان، عندما يموت، يخضع **لدينونة خاصّة** حول إيمانه وأعماله. كانت دينونة الغنيّ عقاباً في جهنّم النار: "مات الغنيّ وقبر، فكان في الجحيم يقاسي العذاب" (لو ١٦/٢٢-٢٣). أمّا دينونة لعازر فكانت ثواباً في النّعيم: "مات لعازر المسكين فحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم" (لو ١٦/٢٢). فيما الجسم يرقد في التّراب، على رجاء القيامة، تطير

النّفس الخالدة إلى أمام عرش الديّان، "فينال كلّ إنسان في نفسه الخالدة ثوابه أو عقابه الأبديّ منذ لحظة موته بدينونة خاصّة تكشف حياته أمام نور المسيح" (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكية، ١٠٢٢).

ليس هلاك الغنيّ من غناه. فخيرات الدّنيا المشروعة هبة وبركة من الله، **بل هلاكه من طمعه، واستعباده لصنم ماله ومقتناه**، واستغنائه عن الله وبالتالي عن المحبّة التي أغلقت قلبه ويده عن لعازر الفقير المطروح على باب داره. مشكلته أنّه عَبَدَ المال لا الله، وينبّهنا السيد المسيح: "لا يقدر أحد أن يعبد ربّين: الله والمال. فإمّا يبغض الواحد ويحبّ الآخر، أو يلازم الواحد ويرذل الآخر" (متّى ٦/٢٤). مأساته أمام الله هي في عبادة صنم نفسه ووثن خيراته. أمّا أمام نفسه "فكان يتنعم كلّ يوم بأفخر الولائم" (لو ١٦/١٩). المهم هو المصير الأبديّ لا اللحظة العابرة، مهما طال العمر: "تذكّر أنّك نلت خيراتك في حياتك ولعازر بلاياه. والآن هو يتعزّى هنا، وأنت تتعذّب" (لو ١٦/٢٥).

تقاسم خيرات الدّنيا طريقنا إلى الله، وواجب نؤدّي الحساب عنه. علّم آباء الكنيسة القدّيسون بشكل ثابت: أنّ "ما يفيض عنك ليس لك، فلا تستطيع أن تجعل نفسك مالكاً له" (غريغوريوس النيصي)، وأنّه "لا يحق لك أن تستعمل مالك كمتمتّع به على هواك بل كموكَّل عليه" (باسيليوس الكبير). في ضوء هذا التعليم، كانت دينونة الغنيّ الصارمة على أنّه نسي لعازر ونبذه، في حين أنّه شريك له في خيراته، كان ينبغي عليه أن يردّ له ما هو أصلاً حقّ له عليه، لأنّ الغنيّ وكيل اللّه على ملك هو للّه (المطران جورج خضر: شهوة المال، في "النهار" ٣١/١/٢٠٠٤). خيرات الدّنيا معدّة من الله لجميع الناس، من يمتلكها شرعيّاً هو موكّلٌ عليها من العناية الإلهيّة ليستثمرها لخيره وخير غيره من الناس بدءاً من الأقربين (الكنيسة في عالم اليوم، ٦٩؛ التعليم

المسيحيّ، ٢٤٠٣-٢٤٠٤). الأخ المحتاج الذي نتقاسم معه خيراتنا يحرّرنا من التعلّق المفرط بها تعلّقاً يحجب عنّا رؤية وجه الله. "الفقير يشفيك من الداء الذي فيك، فإن بذلت له مالك بحبّ كان طبيبك" (المطران جورج خضر، في المقالة المذكورة). لو فعل الغنيّ ذلك لما كان هلك إلى الأبد. لقد أدرك هو غلطته الكبيرة، فتوسّل إلى ابراهيم "ليرْسل لعازر إلى إخوته الخمسة ليشهد لهم، كي لا يأتوا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا" (لو ١٦/٢٧-٢٨).

في صلاة الأبانا نصلّي: "**أعطنا خبزنا كفاف يومنا**" هذا نداء إلى المؤمنين لكي لا يتعلّقوا بشكل مفرط بوسائل العيش، ولكي لا يستأثروا بها لخيرهم فقط، ولكي يحملوا مسؤوليّة الجائعين والمحتاجين، على اختلاف حاجاتهم. تعلّم الكنيسة أنّ هذا الطلب، الذي علّمنا إيّاه الربّ، وما فيه من مسؤوليّات، لا ينفصل عن تعليمه في مثل لعازر والغنيّ (لو ١٦/١٩-٣١)، والدينونة العظمى (متّى ٢٥/٣١-٤٦)، حيث ينكشف الموقف الشخصيّ من المحتاجين والتضامن مع العائلة البشريّة (التعليم المسيحيّ، ٢٨٣١).

دينونة لعازر كانت له ثواباً بالخلاص الأبديّ، لأنّه "نال في هذه الدنيا بلاياه"، وارتضى حالته بصبر "مطروحاً عند باب الغنيّ، مشتهياً بقناعة ان يملأ بطنه من الفتات المتساقط من مائدة الغنيّ"، منفتحاً على رحمة الله التي كان ينبغي أن تظهر في رحمة ذاك الغنيّ. ولذلك "عندما مات، حملته الملائكة إلى حضن ابراهيم" (لو ١٦/٢٠-٢٢).

إنّه من "**صغار الانجيل**" الذين يجعل الربّ يسوع ذاته حاضراً فيهم بنوع خاصّ؛ وهو مثل الأطفال الذين قال عنهم الربّ: "من قبل طفلاً مثل هذا باسمي، فقد قبلني" (متّى ١٨/٥)؛ وفيه يتواصل فقر المسيح الذي يحرّر الانسان من شهوات العالم الثلاث: شهوة الجسد، وشهوة العين، وكبرياء

الغنى (يو ٢/١٦). فالمسيح "المولود في مغارة، عاش فقيراً وظلّ عرياناً على الصليب" (القديسة كلير). وبذلك كان "حبّة الحنطة التي وقعت في الأرض وماتت، فأعطت ثمراً كثيراً" (يو ١٢/٢٤)، أي جماعة المؤمنين التي هي الكنيسة.

هذه قيمة آلام المتألّمين الصابرين، من فقر وجوع وعري وحرمان، من ألم وإعاقة وثقل سنين، من ظلم واستبداد واستضعاف، من انتهاك كرامة وحقوق، من اضطهاد وإساءة وتهميش. إنّ من يخدمهم إنّما يكرّم آلام المسيح الخلاصيّة، ويرمّم روابط الأخوّة، ويبني صرح العدالة والسلام. عندما حمل المسيح آلام البشريّة، مطيعاً حتى الموت على الصليب لخدمة الفداء (أنظر فيليبي ٢/٨)، أنارها بنور قيامته.

٢. القديس مارون وتقاسم خيرات الدنيا

عاش القدّيس مارون في القسم الثاني من الجيل الرّابع، ومات حوالى سنة ٤١٠، وقد اتّبع نهج فقر المسيح وتقاسمه خيرات السماء والأرض مع الناس. نصلّي في القدّاس متذكّرين هذا التقاسم: "وحّدت يا ربّ لاهوتك بناسوتنا، وناسوتنا بلاهوتك، حياتك بموتنا وموتنا بحياتك. أخذت ما لنا وأعطيتنا ما لك، لتحيينا وتقدّسنا، لك المجد إلى الأبد، (نافور القدّاس الماروني).

هكذا **مارون النّاسك اعتزل الدنيا ووقف ذاته على الله** وخدمة إنجيل الخلاص. عاش في الهواء الطلق، على قمّة جبل في القورشيّة، قرب أنطاكية، يبدو أنّها قلعة كالوته حيث ابتنى كوخاً على أنقاض هيكل قديم كان لعبادة الأوثان، فحوّله مكاناً لعبادة الإله الحقيقيّ، الواحد والمثلّث الأقانيم، بالصّلاة

والأصوام والاماتات. أعطى ذاته كلّها لله قرباناً روحيّاً، فملأه الله من ذاته، **وكان التّقاسم بين مارون والله.**

امتلأ **مارون من قداسة الله،** فكتب إليه البطريرك القدّيس يوحنّا فم الذهب ما بين سنة ٤٠١ و٤٠٧ من منفاه خارج كرسيّه في القسطنطينيّة، رسالة مؤثّرة عنوانها: "من يوحنّا فم الذهب إلى مارون الكاهن والنّاسك"، جاء فيها: "حتّى ولو كنّا بعيدين عنك بالجسد، فإنّنا نواصل التّفكير في نشاطاتك، فنطمئنّ ونحصل على الكثير من التّعزية، ونحن هنا في المنفى. وجلّ ما نطلب منك أن تصلّي لأجلنا" (Migne ، ٥٢ عمود ٦٣٠ الرّسالة ٣٦). **إنّه تقاسم الصّلاة والتّعزية.**

وأفاض الله على مارون هبة الشفاء من أمراض الجسد والنفس، على ما كتب تيودوريطس مطران قورش في كتابه "التاريخ الدينيّ"، فذاع صيته في كلّ مكان، واستجلب إليه الجموع من كلّ ناحية. فكانت الحُمّى تنطفىء على ندى بركته، والأمراض تشفى. وكان يستأصل البخل من واحد، والغضب من آخر، والأهواء المفرطة من هذا، والعدوانيّة من ذاك. يعلّم الواحد طرق العفّة، والآخر سُبل العدل، والآخر قواعد القناعة. يصلح الانحرافات، ويشدّد عزائم المتكاسلين. والدواء واحد: ففيما يعالج الأطبّاء كل داء بدواء، خاصّ، كانت صلاته العلاج للأمراض كلّها (التاريخ الدينيّ ٣/١٦). ويضيف الأسقف: "كانت لمارون معرفة عميقة بالنفس البشريّة". يقول البطريرك اسطفان الدويهي أنّ هذه المعرفة العميقة اكتسبها مارون من ثقافته في مدرسة أنطاكية، حيث ربطته صداقة عميقة بيوحنّا فم الذهب، ومن تمرّسه في التأمّل والصّلاة والاتّحاد بالله.

كان مارون **"حبّة حنطة"** ماتت على جبل قورش، فأثمرت، كما يقول

الأسقف تيودوريطس، بستاناً مزهراً في القورشيّة. هذا البستان هو دير مار مارون الشّهير على ضفاف العاصي، قرب أفاميا المعروفة اليوم "بقلعة المضيق". وهو اليوم الكنيسة المارونيّة، التي تواصل بأبنائها وبناتها نهج القدّيس مارون. نذكر من بينهم القديس شربل والقدّيسة رفقا والقدّيس نعمة الله والطوباويّين الاخوة الشهداء المسابكيّين. ونذكر من دعاوى تقديسهم جارية لدى الكرسيّ الرسوليّ وهم: المكرّم الأب يعقوب حدّاد الكبوشي، وخادم الله البطريرك أسطفان الدويهي، وخادم الله الأخ اسطفان نعمه الراهب اللبنانيّ المارونيّ. كما تواصل كنيستنا في مؤسّساتها الكنسيّة تقاسم خيرات السماء والارض.

٣. تقاسم خيرات الأرض أساس السّلام

"**عندهم موسى والأنبياء فليسمعوا لهم**" (لو ١٦/ ٢٩).

"موسى وأنبياء" اليوم هم الكنيسة برعاتها ومؤمنيها المخلصين الذين يشهدون لحقيقة الانسان وكرامته ومعنى الوجود وكيفيّة استعمال خيرات الدنيا. إنّ **للكنيسة عقيدة اجتماعيّة** ضمّنتها ما اقتبست من الانجيل والتّقليد الرسوليّ والوحي الالهيّ حول حقيقة الانسان ومقتضيات العدل والسّلام المتلائمة والحكمة الالهيّة، في اتجاهات ثلاثة: **المبادىء للتفكير** حول الانسان وحقوقه ومصيره وخلاصه، **ومقاييس الحكم الاخلاقيّ** على الأفعال الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة، من حيث صلاحها وشرها دون التطرّق لتقنيّاتها، **والتوجهات التطبيقيّة** من خلال ممارسة مختلف النّشاطات الزمنيّة على مستويات الحياة الوطنيّة كلّها.

إذا كانت خيرات الدّنيا معدّة من الله لجميع الناس، فلن يكون سلام عادل بين الناس والشعوب، ما لم يعطَ كلّ إنسان حقّه في العيش الكريم

الذي لا يقتصر على إعطائه صدقة زهيدة بل فرصة للعمل، ووسيلة لكسب الخبز بعرق الجبين، وإمكانيّة القيام بعمله على نحو حرّ.

تعلّم رسالة البابا الطوباويّ يوحنّا الثالث والعشرون "**السلام على الارض**" إنّ للإنسان حقّاً طبيعيّاً مزدوجاً: "أن تتوفّر له **فرصة للعمل**، وأن يتمكّن من **القيام بأعباء على نحو حرّ**" (فقرة ١٨). يتحدّر من هذا الحقّ المزدوج حقّان آخران ملازمان: "الحقّ في ظروف عمل لا توهن القوى البدنيّة، ولا تمسّ الأخلاق، ولا تضرّ بنموّه الصحيح؛ الحقّ للنساء بظروف عمل تتناسب مع متطلباتهنّ وواجباتهنّ كزوجات وأمّهات (فقرة ١٩).

وبما أنّ العمل واجب على الانسان بحكم حقّه الطبيعيّ، فإنّ العدالة تقتضي من المسؤولين والقدارين أن يؤمنّوا له فرص العمل، وعندها يستتبّ السلام الاجتماعيّ. غير أنّ هذا السلام يكتمل ولا يكون منقوصاً، إذا توفّر للعامل حقّ طبيعيّ آخر تتكلّم عنه الرّسالة البابويّة وهو: "**الحقّ في بدل**، يُحدّد وفقاً لنواميس العدالة، يكفل له ولأسرته معيشة تليق بالكرامة الانسانيّة، مع الأخذ في الاعتبار طبعاً امكانيّات ربّ العمل (فقرة ٢٠).

ويتوطّد الاستقرار والطمأنينة في الحياة العائليّة، ويتعزّز السلام والازدهار في الجسم المدنيّ العامّ، عندما يتوفّر للانسان حقّ طبيعيّ آخر يضمن كرامة الشخص البشريّ ويساعده على التمرّس الحرّ بجميع مسؤوليّاته، وهو **الحق في الملكيّة الخاصّة** لخيرات الدّنيا ولوسائل الانتاج" (فقرة ٢١). ولكن لا بدّ من التّذكير بأنّ الحقّ في الملكيّة الخاصّة يتضمن، من ذات طبعه، موجباً اجتماعيّاً تجاه الاخوة المحتاجين (فقرة ٢٢).

إنّ مأساة الغنيّ، في اللوحة الانجيليّة، تعود إلى عدم إيفائه الموجب الاجتماعيّ تجاه لعازر الفقير والمعدم منتهكاً بذلك حقّه الطبيعيّ.

■ **ثانياً، وجه من القدّيسين الذين عاشوا تقاسم خيرات الأرض**

القدّيسون في غالبيّتهم تميّزوا بتقاسم خيرات الأرض. نذكر من بينهم القدّيس Martin de Tours الأسقف الشاهد لتقاسم الايمان بالانجيل وخيرات الدنيا. عاش في الجيل الرابع، لكنّ ذكره حي يجعله معاصراً لكلّ جيل.

هو في الأساس جنديّ. وذات ليلة كان عائداً على جواده، والبرد قارص للغاية، مسرعاً لبلوغ الدفء في ثكنته في Amiens، إذا به يجد إلى جانب الطريق فقيراً يرتجف من البرد، فترجّل وفكّر كيف يمكن أن يأوي إلى دفء فراشه وهذا المسكين يموت من البرد. فاستلّ سيفه وقطع رداءه الصوفيّ الأحمر واقتسمه مع الفقير وتابع سرعته.

وفيما كان نائماً استيقظ بذعر وخوف، إذ ظهر له المسيح على صورة الفقير الذي كان التقاه في الطريق، وقال له: أنت Martin، الذي تتعلّم أصول الدين، أنت مَن غطّيتني بردائك". وعند الفجر قرّر أن يكرّس حياته للمسيح. لم يكن معمّداً، لأنّ والده ضابط وثنيّ، فكان عليه أن يواصل التزامه بالجنديّة عشرين سنة. وفي الأربعين حقّق الوعد وتكرّس للمسيح ناسكاً، ورفض أن يكون شمّاساً كما كان يريد له القدّيس Hilaire مطران Poitiers. ولكن وفيما بعد طالب به الشعب وخطفه ليكون مطرانه في أبرشيّة Tours.

فرضي خاضعاً لارادة الله. إلاّ أنّه لم يعش في الكرسيّ الأبرشيّ، بل في غرفة متواضعة بقربه. وراح يحارب العبادة الوثنيّة ويبني الإيمان المسيحيّ في النفوس. كان يردّد: "يجب أن تتفجّر قدرة الاله الحقّ بوجه الآلهة الوثنيين".

وهكذا بعد أن تقاسم رداءه مع الفقير، تقاسم إيمانه المسيحيّ وقيمه مع أبناء أبرشيّته.

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تستكمل الخطة الراعويّة وتنهي التفكير معاً في "**هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**"، كما حدّدها النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، في عنصر الهويّة السادس الذي بدأناه الأحد الماضي: **كنيسة متجسّدة في بيئتها اللبنانيّة والمشرقيّة وفي بلدان الانتشار**.

١. البعد الرساليّ والتنشئة عليه ينبعان من صميم الكنيسة التي تتكون جماعتها عبر الاحتفال بسرّ الافخارستيّا، حيث يدخل أبناؤها وبناتها في شركة عضويّة مع المسيح ومع القريبين والبعيدين، فيوصي المجمع بتنشئة راعويّة متكاملة تعزّز الروح الرساليّة والالتزام بالشهادة للمسيح، ليس فقط في البيئة الخاصّة، بل في آفاق بشريّة جديدة أيضاً تفتقر إلى كلمة الانجيل (فقرة ٤٢). من الضرورة ان ترسم الخطّة الراعويّة، عبر الهيكليّات والجماعات، وسائل هذه التنشئة والمبادرات الرساليّة. ان ابرشيّة جبيل تحمد الله وتفتخر بأنّ كهنتها يقومون بخدمة الرسالات في كل من نيجيريا وكوتونو وسوريا وفرنسا (في جزيرة كورسيكا وأنجيه) وإيطاليا (في البانو) والسويد، والبرازيل (في ساوبولو) والولايات المتّحدة الأميركيّة (في ايستون). وهذا ما يدعو إليه النصّ المجمعيّ الثّاني (في الفقرة ٤٣).

٢. **البُعد الرساليّ ينفتح على النشاط المسكونيّ** الرامي إلى وحدة المسيحيّين. إنّ الكنيسة المارونيّة، بحكم ميزاتها الانطاكيّة السريانيّة

الكاثوليكيّة المشرقيّة، مدعوّة للرسالة المسكونيّة إلى جانب الكنائس الأخرى. يبقى على الخطّة الراعويّة أن تحدّد مجالات هذه الرسالة، انطلاقاً من البيئة الخاصّة الحقيقيّة (فقرة ٤٤). إنّ **الجماعات الراعويّة والهيكليّات** تجدّد التزامها بالحركة المسكونيّة التي تعهّدتها الكنيسة بوثائق رسميّة: قرار المجمع الفاتيكانيّ الثاني، في الحركة المسكونيّة؛ الرسالة العامة للبابا يوحنّا بولس الثاني: "ليكونوا واحداً" (١٩٨٥)؛ الرسالة الراعويّة الخامسة لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك: "الحركة المسكونيّة" (١٩٩٩) (فقرة ٤٥).

تعنى **الخطّة الراعويّة** بكيفيّة تأمين تنشئة مسكونيّة بالتعاون مع كليّات ومعاهد اللاهوت والعلوم الدينية، وبوعي التراث الأنطاكيّ المشترك وحفظه وتفعيله وانثقافه (الفقرتان ٤٧ و٤٨).

***

صلاة

نشكرك يا ربّ على أنّك أظهرت نفسك بحياتك وموتك، بكلامك وآياتك، بمجدك وقيامتك، وما زلت تظهر نفسك في سرّ الكنيسة، بأبنائها وبناتها ومؤسّساتها: تتكلّم بلسانهم، وتحب بقلوبهم، وتعطي بسخاء وجودٍ بأيديهم. في الكنيسة أنت تحيا، وفيها تبعث روحك، وعبرها تنشر كلمتك، وبخدمتها تشفي الجراح وتعزّي الآلام. من خلالها تبقى نور العالم ورجاء الشعوب. وحّدها، ربٍّ، في الحقيقة والمحبّة، واجعلها شاهدة لك من أجل قيام عالم أفضل. لك المجد إلى الأبد. آمين.

صدر في السلسلة

- **المسيح نور ينجلي للأمم** (زمن الميلاد ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- **نور إنجيل مجد المسيح** (زمن الغطاس والتذكارات ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- **معرفة حقيقة المسيح تحرّر** (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- **الانجيل قوّة الله لحياة جميع من يؤمن به** (زمن القيامة ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- **الشهادة لإنجيل نعمة اللّه** (زمن العنصرة ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- **كلمة الحقّ في الإنجيل تنمو وتثمر** (زمن العنصرة - تابع - ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- **الشّهادة لإنجيل نعمة اللّه** (زمن الصليب ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- **إعلان إنجيل السّلام** (زمن الميلاد ٢٠٠٦-٢٠٠٧)





ISBN 9953-457-08-5